

تصدير

يجد القارئ في هذا العدد نتيجة المسابقة الادبية التي ينظمها البنك التونسي منذ سنة 1985 في حقول الابداع شعرا ونثرا، وكنا - من أول دورة لهذه المسابقة - أعلننا على صفحات هذه المجلة تنويهنا بهذه المبادرة الطيبة التي أقدم عليها هذا البنك العريق في تاريخه (بدأ قرنه الثاني) والعديد في سلوكه واستمرارية نشاطه الاقتصادي والاجتماعي.

ومنذ الدورة الأولى لهذه الجائزة أعلننا أنها مبادرة فريدة من نوعها في بلادنا - ورغم مرور أكثر من ست سنوات على ميلادها فإنها ما تزال - كما وصفناها - فريدة في ربوعنا المالية والاقتصادية. مما يجعلنا نكرر مرة أخرى أن مؤسساتنا المالية والاقتصادية مازالت بعيدة عن الطموحات الوطنية من ضرورة أن المال ليس كل شيء في الحياة. وأن إتفاق المال ليس من السهل فيه المعرفة الحقيقية لأوجه الصرف ومناطق التمويل، وحقول الإشعاع الحقيقي. الثابت، والزرع المثمر للنبذة الصالحة الباقية.

وميزة البنك التونسي - في بادئته المحمودة - أنه اتبع سياسة الايمان بالمبدأ فلم يتغير حسب الظروف وحسب ذوق الأشخاص، ولم يتفوق في دائرة الضيق والانانية، بل هو مستمر، مطرد الاستمرار سالك سبيل التدرج والثبات، بعيدا عن الطرفة والهملة، نتلاقى في مسلكه وإشعاعه ودائرة انتشاره مع الهالة العظيمة التي يحملها اسم الجائزة عندما اقترنت بالشاعر العالمي الملهم «أبو القاسم الشابي». وهكذا امتدت الجائزة من محيطها القطري الضيق الى محورها القومي الواسع.

إن قيمة الجائزة لا تتمثل - فقط - في قيمتها المادية بقدر ما تتمثل في الاصرار على بحث وترسيخ مبدأ التمازج الضروري بين الفكر والمال، بين عرق الجبين وحي الفكر، بين التكامل الجدي بين المادة والروح على أسس سليمة ومبادئ ثابتة لا نتيجة نامة مزاج أو شهوة فرد.

ذلك ما ندعو إليه، وما شرعت فيه مشكورة مؤسسة البنك التونسي، فمزيدا من العطاء المتنوع مع الشكر.

قصص

كنت

تجلسين متربعة.. الظهر منحني
وعيناك تلاحقان حركة اليدين
ومن حين لآخر ترفعينهما في
ارتجاف لتتفحصي الخيوط العارية التي
تنتظر امتلاءها.. تدثرها بالرداء الصوفي
المشتهي..

جمه السقيفة

..ألوان قزحية.. أشكال.. رسوم..
أنتك تصنعين الربيع وأنت قمل وجفاف.
قابلك الموعد المرتقب يتبختر في صحن
الذاكرة ويأكل الوقت أكلا كي يفتح مسلك جسمه... انسكبت فيك اليوم عاصفة
هوجاء.. استأنفت العدا تصاعدياً.. تنازلياً..
.. تعب .. تعب.. ارتجاف وتعب.. سباقك والزمن يجب أن تكسبه ..
التمعت عيناك.. لن أنام .. لن أرتاح.. لن .. لن .. وأسقطت عليك كل أدوات
النهى.

.. عصفورة معطوبة الجناحين.. تكويها الشمس وتطير الى صغارها..
شمعة يترىص بها الفناء وصبية يشتهون الضوء والفجر بعيد..
الشمس لهب يستعر كأنها وشمة نار ضخمة على صدر السماء وأنت
تصطلين في سقيفة مهلهلة السقف تسكنها معك الشمس متى تشتهي وتهجرها
متى تشتهي.. تتأكل الأصوات داخلك.. تعتلي بعضها.. يموت الضعيف منها
ويعلو حشد آخر.. تتضخم أصوات الاطفال في الخارج.. تدلت منك الآهات
شرنقة خوف ووجع أسرتك لحين.. لكن سريعا ما انتفضت تطردين عنك كل الذي
ألم بك.. ارتفع صوتك بالغناء ليتوقف فجأة عرق.. عرق كالملح.. انك اليمامة
الجريحة ويعلو صوتها بالشدو.. انك الزهرة الذابلة وتعبق أريجاً..

هتفت كالغريق.. - سليم .. سليم .. الماء.. اني أحترق بني.. الماء جاء
الصبي يجري والسطل في يده يرتج فتنتقلت قطرات الماء من جنباته كأنها
تتساقط لإطفاء الضمأ.. لمعانقة القاعة..

رش السقيفة بالماء.. بللني يا ولدي.. هات آخر أسكبه في العتبة تلتطف
طقسك وطقس السقيفة.. سرت فيك برودة محببة.. لذيدة كنسمة صباح .. علا
رنين الخلالة وتسارع تلاحق حركات أصابعك تلتقط الخيوط وتكسوها صوفا
ويداك ترتفعان وتنخفضان.. وضع سليم السطل . وقال لاهتا :

- أمأه.. لماذا لا ترتاحين قليلا.. صاحبي قال إن أهله جميعا ينامون في
القبيلة ابتسمت في اشفاق وأمسكت.. نكس الصبي رأسه وخرج.. عند الباب
توقف ثم عاد يقول : - أمي ما هو مكيف الهواء؟؟

.. قال ابن التاجر الفتوري : إنه يصنع الهواء البارد حتى أنهم لا
يشعرون بالحرارة في الصيف.. أمي لماذا لا تشتري لنا واحدا مثلهم.. أنا في
حصانتي خمسمائة مليون..

ضحكت .. ضحكت حتى دمعت عيناك.. زحفت اليك سنون من سجل
الزمن الهارب تطلب أحياءها.. حقا بك كرنفال من الأحداث والصور وتصدرت
صورته الموكب.. تطلب أحياءها

<http://Archivebeta.Sakulib.com>

.. كان يملوك ويملا الدار بأنفاسه.. راحته وصوته.. لمحك في عرس سالم
بن خليفة بين الصبايا.. سكنه وجهك.. رسمك سديانة في عمق وجدانه وأمك مرفأ
ظلال يرتاح فيه من هجير الحياة.. كان يسافر للمدينة كل أحد ليبيع الزربية
هناك ويشترى للأطفال الحلوى والحمص وخبز قابس اللذيذ ويطلب صوفا جديدا
يدس لك بين طياته لويانا وسواكا.. كان يوم الأحد عندكم عيدا يتجدد ويلون
حياتكم بسحر لا ينضب.. ولما سمع أن سوقا أسبوعية ستحدث بالقرية سكنه
فرح كبير.. أنه الحلم الأكيد.. وأينع كبرياه لكن شاعت الاقدار أن لا يراه ولا
يزوره.

أفقت ذات يوم كئيب على عريك وبكاء أطفالك.. كان لكم الدثار والأمان وهما
قد ترككم بلا اختيار للعاصفة والغريان.. لبسك الحزن ليلا حالكا.. اجتمع بك
الاهل قليلا ثم فروا مغادرين.. بقيت وحدك في الصف قبالتك أطفال أربعة ومن

حولك كلام باهت.. أريك فزع شنيع الآ أنك شممت للمواجهة فكان التعب حتى
جنون التعب.. تشتت.. تشتت وتوزع على أكثر من جبهة .. ناح فيك وتر :

« .. أه يا نواوة رأس الرؤد ».. لماذا تركتني .. لماذا ؟؟

استوعبك سوق القرية المستحدث سنة ونيف تقصدينه تحتضنين زربيتك
والاماني كأنها الجمرات تكويك.

- هل ستبعينها ؟

- .. أنتبضين ثمنا يذيب تعبك ؟

.. أم ؟! وتمسكين دون البوح بالافتراض الآخر.. أنه يدمرك فحاجباتك لا
تترقب.. لم تحتلمي طويلا شوجات السوق فكساده قتل لك وجوع لأطفالك.. عيل
صبرك فحولت وجهتك نحو التاجر الفتوري.. ذلك أضمن.. صرت تمنحينه زرابي
كالتحف ويرميك بعض دنائير ورغم حالة التعكر التي تكايدين فعزاؤك الاستقرار.

- أعانك الله خالتي عاتشة.

.. هزك الصوت .. أسقط عنك أردية الامس، وأعادك الى حمى السقيفة..
عدت من رحيلك بعينين مغرورتين بالدمع.. منحصبتين بالحنين ولظى الذكرى
رفعت اليها بصرك قطالك وجهها الصبوح.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- حييت يا منية.. ظننت أنك مررت اليوم ولم تسلمي

- أيعقل هذا .. فقط تأخرنا قليلا في المستشفى.

- بوركت يداك خالتي عاتشة.. ما هذا الجمال في الزربية .. صحيح أنت

معروفة بمهارتك في الصنعة.. لكن لأول مرة أراك تنقشين بمثل هذا السحر.

- منية ما التصدير يا ابنتي ؟؟

- لماذا ؟؟

- قال عمك الفتوري أن كمية الزرابي هذه للتصدير حتى أنه اشترط علينا

النقوش وتوزيع الالوان.

- أه التصدير .. أي البيع خارج تونس.. في بلدان بعيدة أخرى،

- أوصح هذا يا ابنتي ؟؟؟

- نعم يا خالتي .. ان زرابينا ومرقومنا ثروة.. فقط تطلب مزيد الاهتمام.
.. أصابتك بهمة شديدة وقفز اليك وجهه المتضخم يأكل.. يأكل.. يلحق
عرقك.. يعبئ .. يعبئ بنهم. قصده مرة اشتدت فيها حاجتك حبست أنفاسك
وقلت :

- المدرسة على الابواب سي الفتوري.. أريد سلفة.. ثلاثة أيام وأتيك
بالزريبة. رفع إليك بصره وقال، بصوت كالصراخ :

- سلفة .. أما يكفيك سلفة.. خمس زرابي ولا تستخلصين ديونك.
بلعت ريقا كالعلقم وتسمرت في مكانك.. ترجيته وألحت الرجاء.. احترقت
كرامتك .. شرعّت في الطين.. كان لزاما ففي البيت طفلة تترقب فرحة .. مبدعة
.. أدوات مدرسية .. رماك نظرات قاحلة وورقة ذات خمس دنانير..
..غادرتك.. ترسب في عمقك صوتها والكلمات .. ألم بك وجع شديد وشيء
آخر تشنّجت ملامحك.. اختنقت .. ازدادت اختناقاً وبصوت مبوح ناديت :
- سليم .. سليم .. الماء يا ولدي..

وجاء الطفل بالسطل مهرولاً يوش السقيفة بالماء ويسرق النظر إلى أمه لمح
شفيتها جافتين وفي عينيها تشويش / انشغال.. كأنها تبكي أحسن سليم أنه
يحب أمه كثيراً.. يحبها أكثر.. أكثر من أي وقت مضى أشتى أن يرتقي في
حضانها ويندس في مدينة صدرها ويهمس لها :
- .. أماه.. أنا سأكبر وأدرك عنك كل شقاء. وتعب وأكنس الحزن من على
وجهك ..

.. ضغطت على زرّ المذياع بجانبك فانبعثت منه نغمات أطريتك..
«ليام كيف الريح في البرّيمه»
.. انك تبغين الهروب فإذا المذياع مهريك والسلوى.. يخفف من حدة
الاصوات داخلك ويمتدّ صوته فيك يؤنسك. خفّ وهج الشمس وانتشر نسيم
الاصيل فكان كماء عذب التقى بضمان بعد طول تيه في صحراء جمر وسراب..
كنت تشعلين فعلا كلما زاد الزمن الفاصل اضمحلالات تشتت حركات يديك..
تتداخل يتلاحق رنين الخلّة..

.. عجلى تشنجن.. عجلى تعمدن عراء الخيوط المتبقية حتى كان الهزيع الأول من الليل.. تمددت على الفراش .. تقطقت عظامك.. كان كل جزء فيك يصرخ بالتعب وبعض سعادة دافئة تسري فيك وتطلّ من عينيك وأنت ترينها منتصبه أمامك في شموخ بعد أن نظفتها وطويتها في اعتناء وأخيرا كان التحقيق والتحقّق وفرح كالندى يبلّل وجهك والامنيات .. انسكبت نظراتك على أطفالك النيام حذوك وشاح حبّ لا يهترئ.. عانقتهم حتى لامست جفونك قرارهم الصافي.. وعدتهم بفرح معتقّ بحجم السماء.. بالونات.. حمص وحلوى.. حذاء لناع لسليم.. كسوة وريطة عنق.. سليم يحبّ أن يكون كما الكبار.. فستان ورديّ لاميرة وشرايط بيضاء لشعرها الحريري .. و .. و .. ارتفع فيك صوت :

- وأنت ماذا عنك ؟

كنمت الصوت في خجل .. يكفيك مرأهم كزهور الربيع نضارة وجمالا ويكفيك من الأودية ملائكتك السوداء ذات النقوش البديعة.. هدية الغالي المضفخة بعطر أنفاسه وعرقه.. أطبقت جفونك على صور كالسكر لذة وذوانا حتى أنك مادريت متى سافر بك طائر النوم الى مملكته.. لما أفقت كانت الشمس قد ملأت الأرجاء بخيوطها الذهبية.. قابلك سليم يسوي فراشه وأخته نيام :

- سليم .. متى قمت ؟
<http://Archivebeta.Sakhi.net>

- منذ حين أمّاه.

- لما لم توقظني .. لقد تأخرت كثيرا في النوم !

- إنك تعب أُمي ويجب أن تنامي..

قبلته وأردفت : - انتبه لأخوتك .. سأعود فورا..

امتطيت الطريق تحتصنين الزربية والمنى والأفكار في رأسك تتداعى حين وصلت المتجر اصطدمت ببابه المقفل.. انفتحت هوة في الصدر وهوت عليك الامنيات سياط نار تلهب جسدك .. وغبت في دائرة وجع وتساؤل.. كان الشارع يمتدّ أمامك في التواء كأنه أفعى أسطورية.. يتمطّط وخطواتك تثقل .. تثقل كأن أوزار الدنيا بأسرها تركبك. فجأة اعتزمت أمرا وسرت لتنفيذه.. حين بلغت مغناه طالعك يفتح باب السيّارة هرولت في اتجاهه لاهثة :

- صباح الخير سي الفتوري .. جئت أدفع لك الزريبة فوجدت المتجر

مقفلا

نظر اليك وابتسامة باردة على شفثيه وقال :

- لقد أقفلنا الحسابات ودخلنا في عطلة العيد.. يمكن أن تعودني بعد

العيد.

- .. ولكن .. !!

دار المحرك وبقي منك الصوت معلقا وسط سحابة من الغبار والأسى ..
قفلت راجعة تدفين في البيت خبيتك وكلّ أشياء الصبح تبكيك.. كأنه ركب
جاننزي أنت فيه الضحية وكلّ المشيعين وعاصفة الدموع .. دمار أنت .. دمار
واضحلال..

... حسناء أبطلوا عرسها ..

... يد تمتد الى ثمرة تتوسط الشوك ولما أشرفت على قطفها أوقفتها

عصا الحارس فهوت في سحيق المسافات..

طرقتك أصوات أطفالك من قبل أن تطرقي عليهم الباب.. كانوا يلاحقون
بالونة تطير في فضاء المنزل الملون بأصواتهم وضحكاتهم والشمس .. أربكتك
الدهشة.. ناديت سليما بحدة ويداك تقلبان بنشنج بعض هدايا وثياب جديدة :

- سليم .. ما هذا ؟ .. من جلبه ؟

.. ألم أقل لك لا تأخذ أي شيء من الغريب..

ردّ الطفل في ارتعاش : - لقد جلبها لنا رجل لا أعرفه وقال لي هذه
معايدة الوطن لكم.

.. تنفست بهدوء.. ضوّا فيك مصباح جديد بعد انطفاء فسرت الى الفناء
تسقين شجيرات الحديقة الصغيرة.

و

جدت الاسئلة تضطرب في
داخلي مرة أخرى بينما كنت
أنظر إلى زهرة ابنة وحيدة
الهجالة وهي تغطي وجهها بيديها. وطاقفت
في ذهني مباشرة وصية ناجي العسل،
وكأنني أخاف أن أنساها أو كأنها كتبت
على ظهر يدي زهرة وصرت أقرأ حروفها
وأنا أنظر إليها.

الوصية

«وصيتي لكم أن تغسلوني كل يوم جمعة قبل الصلاة حتى بعد مماتي
ودفن جثتي تحت الشراب»

لم ينتظر «الطرطور» ردود فعلنا ولا هو انتظر ما يمكن أن نسأله بعد
الانتهاء من سرد حكايته، فقد حمل نفسه واتجه نحو البئر مرة ثانية ليتوضأ
عندما انتبهنا إلى أن الفجر قد طلع ولم نجد بداً ثانية من الاتجاه إلى البئر
للوضوء من أجل الصلاة خلف الطرطور لكن الاسئلة التي اجتاحتني لم تفارقني.
فلماذا لم ينتظر الطرطور ردود فعلنا ؟ نهض من مكانه وكأن ردود الفعل لا تعنيه
ربما يكون قد روى لنا الحكاية من أجل أن يتخلص من أعبائها. وربما يكون قد
اتجه إلى الصلاة للهروب من ردود فعلنا. وربما يكون هناك أسباب أخرى جعلته
يحكي لنا الحكاية ثم يتجه إلى الصلاة. فقد كانت علامات التأثر بادية عليه وهو
يروي تفاصيل الحكاية. فلا بد أن تكون للحكاية علاقة بحياة الطرطور. وربما كان
أحد شخصيات هذه الحكاية. وربما أيضا سيكون أحد أبطالها القادمين.

«الطرطور يجيئنا جميعا وعلى الدنيا السلام...»

هكذا قال الطرطور قبل أن يشرع في سرد حكايته. لذلك أشعر أن

للطرطور علاقة وطيدة مع الحكاية التي رواها. فالطرطور لا يحكي أية حكاية لا تكون من ورائها غاية. فهو لا يحكي من أجل أن يهذي ولا هو من عادته أن يحكي من أجل إضاعة الوقت. صحيح أنه كان دائما يغني وهذه أول مرة أستمع إليه وهو يحكي أو لنقل وهو يتحدث دون أن يغني.

كما أنني لم أفهم أيضا لماذا غطت زهرة ابنة وحيدة الهجالة وجهها بيديها بعد فراغ الطرطور من سرد أطوار الحكاية، أقصد حكايتنا. هل يكون ذلك بسبب الحياء الذي انتابها بعد الاستماع إلى نهاية الحكاية ؟ أن تكون هناك أسباب أخرى دفعت زهرة إلى وضع يديها على وجهها. وإن كان ذلك، فما هي الأسباب؟ ثم لماذا لم أشعر بالخجل مما قال الطرطور ؟ فالحكاية ليست عادة أبدا ولا أنا سمعت بمثيلات لها. فلماذا يجتاحني هذا الشعور بالأمبالاة ؟

الطرطور يحكيها جميعا وعلى الدنيا السلام.

هكذا وجددتني أقطع على نفسي الاسترسال في الاسئلة. فما أصبح يهمني بعد طلوع فجر يوم الخميس هو تنفيذ وصية ناجي العسل التي وجددتني أعيد كلماتها وأنا أوجه وجهي شطر المسجد الحرام لأداء صلاة الفجر ثم الصبح.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

«وصيتي لكم أن تغسلوني كل يوم جمعة قبل الصلاة حتى بعد مماتي ودفن جثتي تحت التراب» إثر ذلك أدينا صلاة الفجر فرادى ثم تقدمنا الطرطور إماما وصلينا خلفه صلاة الصبح. بعد ذلك اتجهت صحبة زهرة ابنة وحيدة الهجالة للاختباء، فأنا حتى الآن لم أجد الطريقة المثلى للمواجهة. فحجتي صعبة والوشواش كسر جميع أسلحتي. لقد صرت في حالة دفاع عن النفس إنني في حاجة إلى درء التهم الموجهة لي من قبل الوشواش. وهذا الأمر يتطلب تخطيطا مسبقا، ووقتا طويلا من الانتظار. وذلك أجدني أفكر في إرجاء تنفيذ هذا الأمر. فهناك ما هو أهم. والأهم مستعجل ولا ينتظر تأخيرا.

غدا سأنفذ وصية ناجي العسل فكيف السبيل إلى ذلك؟

الاكيد أن تنفيذي لوصية ناجي العسل سيكون بداية المواجهة. فالوشواش لن يبقى مكتوف الأيدي لأن تنفيذ وصية ناجي العسل قد تتضارب مع تخطيطاته

لإحكام السيطرة على أنف العفة. فقد أصبح الوشواش زعيما في بلدتنا «أنف العفة» وأنا أحسده على هذا الذكاء فهو داهية ويسعى الى الوصول حيث يريد. لكن الذي لم أفهمه هو كيف انطلقت الحيلة على ابناء أنف العفة. فأن يكون الوشواش زعيما أمر ليس بالاهمية بمكان. فإن لم يكن الوشواش كان سيكون شخصا آخر وربما أتعس من الوشواش زعيما في بلدتنا فنحن في حاجة إلى زعيم مثل جميع الناس لكن أن يكون الوشواش زعيما فينا فهذا ما لم أفهمه.

أنف العفة للأقوى. أنف العفة أبقى.

تلك هي الحقيقة التي توصلت إليها. فوصول الوشواش زعيما فينا يعني الكثير، يعني أولا وأخيرا أننا قد تغيرنا كثيرا. يعني أن أنف العفة لم تعد تلك التي نعرفها أنف العفة لم تعد بلدتنا التي يحكيها لنا الطرطور. الطرطور لم يعد يحكي أنف العفة. الطرطور لم يعد يحكيها.

لكن كيف السبيل إلى تنفيذ وصية ناجي العسل ؟

يظهر أنني سرحت طويلا لأنني انتبهت إلى زهرة ابنة وحيدة الهجالة وهي تلمسني من خدي وعلامات الغضب بادية عليها وهي تقول.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- إنني أهدتك فلماذا لا تجيبيني ؟

..... -

- نعم نعم أهدتك أنت فلماذا تصمت عني ؟

..... -

لم أجد ما أقوله لها فأننا لم استمع إلى ما سألتني عنه. وحتى إن لم تسألني فأننا لم أسمع حرفا واحدا مما كانت تقوله. لقد أصبح كل واحد منا يفكر في أجوبة للأسئلة التي تضطرب داخله. صار كل واحد منا يفكر في حلول لما يؤرقه هو فقط. بينما نحن اثنان وأستلطنا متلاصقة بعضها ببعض فلماذا لا نتعاون على حل لها جديعا ؟

وضعنا كلاجئين غير فينا الكثير. ويكذب الانسان الذي لا يغير طبعه المكان. فلو كنا الآن في بلدتنا أنف العفة. لو كنا في وضع يسمح لنا بالبروز في

أنف العفة كان رد فعلنا مخالفا لما نحن عليه. لكن أنف العفة تغير كثيرا او لنقل نحن أبناء أنف العفة تغيرنا كثيرا لدرجة شعورنا بالغربة داخلنا إلى درجة شعورنا بالغربة من أنفسنا. فكل بلدة يضعها رجالها ولست أدري كيف أريد أن تتغير أنف العفة نحو الأفضل بينما نحن في وضع لاجئين ؟

- أنا مصرة على غسل جثة ناجي العسل بيدي هذه. بعد إخراجه من القبر.

- لكن الشواش...

- لا تذكر اسمه أمامي. ولست التي تخافه وهو يعلم ذلك جيدا.

.....

- الشواش لا يمنعني لأن يدي هاتين ستوجعانه ضربا لأغسل جثة ناجي العسل.

- لكن الوضع الآن تغير وقد رماك الآن بتهمة ؟

- تقصد أنني صرت في نظر الناس زانية. ذلك لا يغير من الأمر إلا قليلا.

فقد تغيرت أنف العفة تغيرت كثيرا ولم تعد تلك التي تعرفها.

- وعدتنا قد تغير ميزان القوى.

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

- الموازين لم تعد تتغير. فلست وحدي زانية. كلكم كلنا زناة. أنف العفة

زانية.

- وعلينا أن نطهرها. علينا نحن أن نطهرها.

.....

وجدتني أسرح مع كلمات زهرة، صحيح أنها متشنجة وصحيح أيضا كل ما تقوله فكلامها ليس وليد لحظة عصبية، كلامها أرقني كثيرا وأظن أنه أرق الكثيرين غيري، ولأ كيف يصبح الشواش زعيما في بلدنا أنف العفة وهو الغريب عنها ؟ وكيف يتغير موقف أبناء بلدنا وفي لحظة واحدة من النقيض إلى النقيض إن لم يكن ما قالته زهرة الآن صحيحا.

انقلب جميع أبناء بلدنا أنف العفة من مناصرين لزهرة ابنة وحيدة المجالية إلى أعداء لها وقد حملوا الشواش على الأعناق. هكذا تغير الموقف

ويسرعة كبيرة من طرد الشواش بسبب خيانتهم لهم إلى استقباله زعيما بسبب ما عاناه من أجلهم.

تلك هي حال بلدتنا أنف الهفة الآن فلماذا الاستغراب والبحث عن الأجوبة لجميع الاسئلة ؟

فأنف العفة لم تعد أنف العفة أو لنقل نحن أبناء أنف العفة لم نعد نحن.

«وصيتي لكم أن تغسلوني كل يوم جمعة قبل الصلاة حتى بعد مماتي ودفن جثتي تحت التراب الذي تشون فوق أديمه بجلاء» أظن أن هذا هو ما يجب علينا التفكير في تنفيذه. لأن ذلك هو الأمر الذي سيعيدنا إلى أنف العفة وينهي حكايتنا كلاجئين أو لنقل ربما سيكون ذلك سببا في إنشاء أنف العفة من جديد. لذلك أجدني مدفوعا إلى تنفيذ وصية ناجي العسل برآح بلدتنا أنف العفة. ناجي العسل الذي أبى إلا أن يحررنا حتى بعد استشهاد. لذلك لا بد من وجود الطريقة المثلى لتنفيذ هذه الوصية على الطريقة التي يتمناها ناجي العسل وربما أيضا بطريقة أفضل مما شناه في حياته فأنا مصر على المواجهة كلغني الأمر ما كلغني. وأظن أنني توصلت إلى الصيغة المثلى لتنفيذ هذه الوصية.

أنف العفة أنتم - أنتم فقط أنف العفة.

<http://Archivebeta.SakrMil.com>

هذا ما نطق به الطرطور بعد أن أقدم نحونا. ثم أردف قائلا :

«الاختباء خوفا من المواجهة جبن. وأنف العفة للأقوى أنف العفة أبقي.

ثم حدثنا بنظرات لم نفهم معناها. إثر ذلك اتجه نحو البحر وتركنا حيث نحن، إنه يدفعنا نحو المغامرة وأنا في حاجة إلى مواجهة مضمونة النتيجة. لكن ما قاله صحيح، وعلي أن لا أختبئ أكثر، إنني مصر على أن أكون في أنف العفة. بل مصر على أن تكون أنف العفة حتى بعدما قالت زهرة ابنة وحيدة الهجالة فأنف العفة للأقوى أنف العفة أبقي.

ليس من السهل أبدا تنفيذ القرار، ولا هو من الصعب أبدا عدم الإقدام. لذلك أجدني مطالبا بتنفيذ ما عزمت عليه. وعلى زهرة أن تعينني في ذلك. فاللجوء إلى الاختباء قد أفقدنا الكثير من شرعيتنا وعودتنا إلى أنف العفة لا يجب أن تكون بعفو صادر من الشواش. ما دمنا في حاجة إلى أنف العفة فنحن

عاشورين ليس لأن أنف العفّة في حاجة إلينا بل لأننا نحتاجها. لا يمكنني، أبداً أن أكون دونها إنها الحبّ والأمل وساعد الإيمان بحق الإنسان فكيف لا نكون لها وهي تحب.

أنت العفّة نحن. ونحن فقط أنف العفّة.

لم أجد بداً من الضغط على كتفي زهرة أبنه وحيدة الهجالة. كأنني أريد إعلامها بالحماس الذي انتابني، أو كأنني أحرك جفوة الشجاعة التي اجتاحتني. فأنا مصرّ على أن أكون، ولذلك أجدني مدفوعاً نحو المواجهة فالوشواش صار زعيماً في أنف العفّة بسببنا نحن أيضاً. لم يصبح الوشواش زعيماً فقط من جراء دهائه. بل لضعفنا دور كبير في ذلك، فأنف العفّة تحت ونحن عنها منشغلون أنف العفّة... اليوم يوم خميس وفيه ستكون المواجهة.

هذا ما وصل إلى سمعي من كلام زهرة، ربما تكون قد نطقت بكلام آخر لم أسمع إليه، لكن ما استمعت إليه كان وزيادة. فهي أيضاً تفكر في المواجهة، وهذا أمر طيّب لذلك علينا أن نوحّد الصفوف علينا أن نخطط لمواجهة موحدة فعدونا واحد والهدف أظنّه كذلك.

ولم أنتظر طويلاً إذ سألتها مباشرة وبعد ضمت قصير.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- ولماذا تكون المواجهة يوم الخميس ؟

نظرت إليّ طويلاً. خرجت تتطلّع في الأفق البعيد. ربما كانت تتطلع لرؤية الوشواش أو ربما لرؤية الطرطور أو ربما... وخرجت وراءها فإذا الطرطور قادم نحونا من طريق البحر. ولم تنتظر وصوله بل دارت نحوي تقول.

- تكون المواجهة يوم الخميس لأن غداً يوم جمعة.

- لم ... لم ... لم ... أفهم

- يوم الجمعة هو يوم تنفيذ الوصية فهل فهمتني الآن؟

.....

- ستكون المواجهة بيننا أولاً ثم نواجههم.

كذلك نطقت زهرة ابنة وحيدة الهجالة.. وذلك هو قراري فهل ترانا سنبدأ
المواجهة من مخبئنا ؟ أم ستكون بدايتنا من داخل بلدتنا أنف العفة ؟ أم ستكون
مواجهتنا في الكلاب المتمركزة في الطريق ؟ فمن أين ستكون البداية ؟

عند وصول الطرطور إلينا أشار علينا بأن نختبئ. وفهمنا أن هناك من
كان يرقبه وقد سار وراءه. ربّما يكون أحد أنصار الوشواش قد تطفن إلينا وأراد
التثبت حتّى يشي بنا. أو ربّما يكون أحد الذين ضاقت بهم الاحوال فأراد
الترويح عن النفس. فقد أصبحت الحياة مختنقة في أنف العفة بعد أن أحكم
الوشواش غلق جميع العقول فيها. وطبعا هذا ما أشعر به وربّما لا يكون ذلك
شعور من لم يفارقها أو ربّما يكون أيضا نفس الشعور.

المهم أننا لم نختبئ فإن كان أحد أنصار الوشواش سيكون لنا معه كلام.
وإن كان... عندما تبينّت الشخص القادم نحونا ارتاحت نفسي كثيرا. فالمواجهة
ما زالت لم يحن وقتها بعد ؛ لأن القادم نحونا كان حسين النادل. وقد كان يسترق
الخطى لظنه أن الطرطور لم يتفطن لو جودنا، أو ربّما لظنه أن الطرطور لم
يتفطن اليه بعد.

المهم أنني ارتاحت لأن زمن المواجهة لم يحن بعد لكنني، صرت أشعر
باندفاع أكبر فالمواجهة هي الحل الأنسب بالنسبة إليّ بالمواجهة سأكون من
جديد من أبناء أنف العفة.

أنف العفة نحن ونحن فقط أنف العفة.

ناديت حسين النادل بعد أن كان قد اختبأ. فتقدّم نحونا بخطى وثيدة.
ربما كان جهله لموقف الطرطور يخيفه. أو ربما أيضا جهله لطبيعة وجود
الطرطور بيننا كان يربكه. فقد وقّعنا في مكيدة وقد يفتضح أمر تعاونه معنا
فيحرم من العيش في أنف العفة وهو الذي يرضى بالموت قبل أن يفرض عليه
مثل ذلك الأمر.

المهم أن حسين قد تقدم نحونا بحذر شديد. ثم ويعد أن تفرسنا جميعا
وتأكدنا من وضعه في المكان الذي وقفنا فيه قالت له زهرة ابنة وحيدة الهجالة.

- لماذا أنت خائف فالطرطور كان ولا يزال يحكيئا ؟

- لست خائفا فأبناء أنف العفة لا يخافون بل الاحتياط واجب.

وجدتني أقلق رأسي لما إستمعت إليه. مازال حتى اليوم لم يتفطن إلى تغير أنف العفة. لا يزال يعيش أنف العفة التي كانت، إنه يعيش الآن بما كانت أنف العفة أمس. لا أظن أن هناك من كلمة تعبر عنه أكثر من «مغل» فحسين النادل مغفل وهو لذلك يشعر بغربة داخل بلدته أنف العفة. أقصد لذلك نشعر بغربة داخلنا. وغربتنا تلك تجعلنا غرباء في بلدتنا أنف العفة فنحن مغفلون أو لنقل غرباء.

عندها انتهت إلى صوت حسين وهو يقول.

- كنت أظن أن طريق هجرتكم قد افتضح فقد رتبت لكما موعدا مع الهجرة عن طريق البحر. لكن الطرطور إكتشف ذلك.

وأجابته زهرة بصوت فيه من الانفعال الكثير وربما يعود ذلك إلى حماسه كأنه مكبوتا داخلها.

- لقد طلقنا الهجرة يا حسن فأنت العفة لنا وبالمواجهة ستكون وأردفت قائلا دون أن أتبين ما قالت زهرة إلا بعهد إتمام حديثي.

- ألم أقل لكم دائما : الطرطور يحكي. الطرطور كان ولا يزال دوما يحكي. فكيف تستغريون لاكتشافه لإعترافنا الهجرة عن أنف العفة فهو لا يحكي لنا بل يحكي، الطرطور دوما يحكي.

بعد إتمام حديثي تفتنت إلى أن ما نطقت به ليس تنمة لكلام زهرة لكن من المحتمل أن يكون هذا الكلام ما قالت أو ربما هو العبارات الأخرى للفظها المنطوق وربما لا هذا ولا ذاك بل هو تفسير لحماس مكبوت.

عندها وجدتني أفكر في سبب ظهور الطرطور بيننا ليلة إعترافنا الرحيل ربما لم يبت ليلة واحدة في المكان الذي اختبأنا فيه. وظهر بيننا ليمتعا من الرحيل. لكنه لم يحدثنا عن ذلك أبدا ولا هو أمرنا بما يوجي بذلك بل تحدث معنا في أمور تشغلنا. وقد تكون لهذه الأمور علاقة بالرجل لكنه لم يقطع عن مثل هذا الموقف صراحة. المهم أننا لم نعد في حاجة إلى الرحيل لأننا مصممون على أن نكون من جديد ومثل هذا الأمر يكون إلا بالمواجهة وإن كان لطرطور قد أعاننا

على الوصول إلى هذا الموقف فنحن مدينون له وسنبقى دوما مدينين له.

الطرطور يحكيئا، الطرطور يحكيئا ويحكي أنف العفة فينا.

لم يطل صممتي بعد ذلك طويلا فقد اتضحت السبل أمامنا وطلقنا الرحيل اقتنعنا جميعا بهذا الرأي من أجلنا نحن. فلكي نكون في أنف العفة لا بد أن نثبت في الأرض قد انجح في الرحيل مثلا. ومن أجل توفير أسباب الحياة سننتشر في الأرض. فأعمل في أرض غير أرضنا. وأبيع لانسان غير أناس بلدنا أنف العفة وأذبح خرفانا رعت في أرض فلحتها الآت الثورة واريط علاقات لنفسي تبرر لي إنهمزاميتي. ويكون ناجي العسل قد مات وانتهى الامر وننسى الوصية وتغيب عن ذاكرتي أسباب التصاقي بالأرض أرض بلدنا أنف العفة التي من أجلها فكرت في الرحيل والهجرة عن سلطة الوشواش فيها وربما بعد كل ذلك أصبح وشواشا.

« وصيتي لكم ان تغسلوني كل يوم جمعة قبل الصلاة حتى بعد مماتي ودفن حثتي تحت التراب الذي تمشون فوق أديمه بخيلاء وكبرياء».

هذا ما انشدته الطرطور بصوت الذي يدخل القلب ولا يسمع بالآذن إنها أول مرة استمع فيها الى الطرطور ينطق بأحرف الوصية، شعرت عندها بمسؤولية التنفيذ إنها أمانة في عنقنا جميعا الوصية مسؤوليتنا. ويتنفيذ الوصية سنحي من جديد وستحيانا أنف العفة.

لكن كيف السبيل إلى هذا الكون الجديد ؟

لم يطل تفكيري في هذا الموضوع وقتا طويلا، فقد ارهقتني طريقة التفكير في المواجهة واصابني صداد كبير ولم اعد استطيع التفكير أكثر في طريقة المواجهة. واني لأشكر كثيرا الطرطور الذي يحكيئا ويحكي أنف العفة فينا فقد سمعته يحسم أمر الصداد الذي أصابني بقوله :

- عليكم بتكسير رتابة العيش في أنف العفة. ولا بأس من تفويض أسس سيطرته على أنف العفة بإدخال الشك فيما يقول وبذلك ستحصلون على المدد من المناصرين فأنف العفة لم تنته الى حين. أنف العفة حمانالت تحيانا إلى حين. وتحمست إلى ما نطق به الطرطور. فهو الطريق الاسلام للخلاص. او هكذا أشعر

الآن بعد أن حصلت على طريقة مثلى للمواجهة وسأزيد على ذلك بعض الأمور. لأنني لا أبحث فقط عن تقويض سيطرته في العقول بل علي أيضا ان أكون وسوف لا أكون فقط بقتل الآخرين لأن أنف العفة أبقى وبالتأكيد في النهاية سأكون.

طلبت من الطرطور مدى ببدلة ثانية من ثيابه فلم يمانع ولا هو أيضا سألني عن سبب ذلك بل أعطاني إياها مباشرة وكأنه كان ينتظر ذلك. أوريما هو أيضا فهم سبب طلبي لها المهم هو أنني أخذتها منه وليستها بينما كانت زهرة ابنة وحيدة الهجالة تنظر الى بعينين فيها الكثير من الاسئلة وكذلك كان حسين النادل.

وصوت طرطور أخرا لأنف العفة.

هكذا قال حسين النادل ثم سألني بعد ذلك :

وما هو شعار المواجهة ؟

..... -

فكرت قليلا وأنا أتفرد نفسي بملابسي الطرطور ثم قلت بصوت في الكثير من العزم

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- على الطرطور أن يطوف في أنف العفة وهو يغني كلمات وصية ناجي العسل فريما يعيد صوته الى الساكنين بعض الانتماء الى أنف العفة. أما نحن فنستطوف عكس دورته ونحن نقول الحجارة بالملايين. حجارة أنف العفة بالملايين. ثم نعود بعد ذلك إلى قاعدتنا هذه. والاكيد أن النتيجة من ذلك ستظهر في الحين. لم ينطق أي واحد بكلمة بعد هذا الأمر. بل بقوا واجمين الآ الطرطور فقد انطلق في طريقه وهو يردد كلمات الوصية بصوته. الجوهري. لقد طبق الأمر دون مناقشة فهم ما طلب منه جيذا وشرع في تطبيق ما نريد. إنه لا يرفض طلبا لأنف العفة.

الطرطور يحكيئا - لطرطور يحكيئا ويحكي أنف العفة فيئا.

أما حسين النادل فقد قال لي بعد أن ذهب الطرطور.

- لماذا لم تظهر وصية ناجي العسل الآ في هذا الحين ؟

واجبته مباشرة وبكلمات مقتضبة وأنا أتفرّس وجهه علّني أحصل على تفسير لسبب سؤاله.

- ربّما حاول الوشواش طمسها وعدم إطلاعنا عليها لكن الحقيقة أقوى ولذلك نحن مطالبون أكثر بتنفيذها.

بعدها قالت زهرة ابنة وحيدة الهجالة.

- ولماذا تكون الحجارة بالملايين ؟

- ستكون طعما نعرف به مدى تغير أنف العفة فمن يبيع الأرض ليس منّا ومن يعطينا الحجارة ليس منّا، أمّا من يحملنا في وجهنا فسيبتبعنا ليوّجهها إلى الكلاب المتمركزة في الطرق المؤدية إلى أنف العفة. ومهما تكن النتائج فالغلبة ستكون لنا حتماً وبذلك سنحیی أنف العفة فينا. وربّما أيضا بوجود طرطور يميني وآخر يساري ستحصل الوحدة فينا ونكون من جديدا وستحيانا أنف العفة من جديد. عندها قالت زهرة ابنة وحيدة الهجالة :

- اليوم يوم خميس وفيه ستكون المواجهة.

ثم اتجهت نحو أنف العفة وهي تصبح الحجارة بالملايين. حجارة أنف العفة بالملايين وتنفيذ الوصية دستور العظماء والمتمردين <http://www.almuridin.net>

ووجدتني أرتعش مكاني ممّا قالت. فما أضافته هو عين الصواب وهو ما يجب أن يكون «تنفيذ الوصية دستور العظماء والمتمردين» والأكيد أن ردّ الفعل سيكون عنيفا إلى أبعد الحدود لكن اليوم يوم خميس ولم يعد لدينا متسع لتنفيذ الوصية يوم الجمعة قبل الصلاة لذلك كان ما نطقت به جدّ مفيد لانه سيعيننا على زمن الوصية. التحقت بزهرة ابنت وحيدة الهجالة ثم وفي مدخل بناءات أنف العفة اتبع كل منّا اتجاهها لتلتقي في الأخير ووصل إلى سمعنا صوت الطرطور وهو يردّد كلمات الوصية بينما كان كل واحد فينا ينادي بصوت عال : « الحجارة بالملايين حجارة أنف العفة بالملايين وتنفيذ الوصية دستور العظماء والمتمردين».

وكنا أثناء ذلك نستقبل أنف العفة فينا بشعور جديد لدينا. فهذه أنف العفة كما نحياها. اهذه أنف العفة كما تحي هي فينا وكل ذلك سيقابل بالمواجهة.

فأنف العفة للأقوى أنف العفة أبقى.

واتخذ حسين النادل طريقاً أقرب حتى يفوز الأمور من الداخل بينما تابعت طريق وكلّي حماس لتقويض من أحكم السيطرة عليه الوشواش. «الحجارة بالملايين حجارة أنف العفة بالملايين وتنفيذ الوصية دستور العظماء والمتمردين».

ودوّت هذه الكلمات في أرجاء أنف العفة من كل صوب فخرج الفضوليون يستطلعون الخبر اليقين بينما هرب الخائفون واحتموا باقفال البيوت. لكن صوت الطرطور أقوى من الاقفال فقد تحدى الجدران وارسم في العيون بعد أن زلزل ما في النفوس من شعور.

«وصيتي لكم أن تغسلوني كل يوم جمعة قبل الصلاة حتى بعد مماتي ودفني تحت التراب الذي تشون فوق أديمه بخيلاء وكبرياء».

.وارتاحت نفسي كثيراً لمرود ما فكّرنا في تنفيذه منذ حين. فقد زرع الشك وانتهى الأمر ولا بدّ من البحث عن دستور جديد لأن أنف لعفة غابت لتبعث من جديد فالطرطور كان ولا يزال يحكيها أما الآن فقد أصبح في أنف العفة، طرطوران يطلبان إنجاب الجديد، وهذا الشك سيحجي من النفس أدران الماضي وغيوم الجديد لكن أين إنفعال الأمر فيهم ؟ وماذا يكتنون ود الفعل فيهم ؟ أم نراهم عن الفعل غائبون ؟

حين إلتقيت مع زهرة ابنة وحيدة الهجالة في نقطة واحدة وضعنا اليد في اليد واتجهنا صوب ساحة البلدة بينما لم ننقطع عن ترديد هتافنا. عندها رأيت من إنحصر في يوتقتنا وسار خلفنا يردّ نفس عباراتنا ثم إلتحق به آخر ثم آخر حتى صرنا جماعة لها صوت مدوّ أو هكذا خيل لي. المهم أن صوتنا صار مدوّ وهذا شجّعنا على المواجهة أكثر لأنه أمر يضمن لنا الانتصار في الأخير. وما يهمنا أكثر من الانتصار هو ان تكون من جديد أنف العفة.

أنف العفة نحن. ونحن فقط أنف العفة.

هذا الأمر أصبح ايماناً راسخاً في داخلي وقد ربحنا الخطوة الأولى من المواجهة فهذه مجموعات من المكونين تلتحق بنا لتصبح قوة متمردة. فالفرد ماله الاندثار والبقاء فقط لأنف العفة بلدتنا التي أحكم السيطرة عليها الوشواش

فاندثرت وصارت شبحا لغيرها. أما نحن فلا حياة لنا دونها. أنف العفة نحن ونحن دوما لها.

واختلطت كلماتنا بصوت الطرطور فصرنا وكأننا نصوغ لحنا في ستفونية خالدة وتلك هي أنف العفة لمن يريد لا رؤيتها والعيش فيها. لأنها دوننا لن تكون ونحن أيضا دونها لا يمكننا أن نحیی. ولذلك كنت أحاول جاهدا الترفیع من حدة صوتي أو أصواتنا جميعا لأن ما سيحدث يهتما جميعا.

وكلما تقدّمنا أكثر إزداد عدد المناصرين لنا. فاتجهنا نحو الساحة الشرقية لبلدتنا أنف العفة وهناك التقانا حسين النادل مع مجموعة أخرى من المناصرين فالتحمتا مع بعضنا البعض ونحن نردّد نفس الشعارات. «الصجارة بالملايين. حجارة أنف العفة بالملايين. وتنفيذ الوصية دستور العظماء والمتمردين» وبقينا وقتا لا بأس به نردّد هذه الشعارات حتى التحق بنا الطرطور فصمتنا جميعا بينما بقي يفني : «وصيتي لكم ان تغسلوني كل يوم جمعة قبل الصلاة حتى بعد مماتي ودفني تحت التراب الذي تمشون فوق أديمه بخيلاء وكبرياء».

ورددّها مرّات عديدة بينما كنا واجمين ثم صعدت فيهم مخاطبا :

- تلك وصية الغسل لابناء بلدته أنف لعفة وتنفيذ الوصية دستور العظماء والمتمردين» فمن كان يريد الخلاص عليه بتنفيذ الوصية، استقبلني الحاضرون وبالتصفيق ثم ردّدوا مع بعضهم البعض.

«تنفيذ الوصية دستور العظماء والمتمردين... تنفيذ الوصية... ثم صعد حسن النادل مخاطبا في الجماعة :

- هل تعرفون لماذا رفض الشواش أن يتركنا تنفذ الوصية ؟ لان ذلك سيفضح أمره أمامكم ويقوض إحكامه السيطرة على عقولكم. فقد قتل فيكم أنف العفة. وأنف العفة تناديكم وتطلب الخلاص فنحن زائلون نحن جميعا زائلون.

ثم صعدت زهرة إبنة وحيدة الهجالة مخاطبة في الناس.

- إسألوني عنه أففضحه أمامكم. فقد كنت أضربه لكثرة وشايته بكم لأنني إبنة أنف العفة ونحن لم نتربى على المذلة. لكنه أنساكم ذلك وجعلكم تقولون إنني

زانية فصحت بأعلى صوتي..

- وهل نحن مغفلون حتى نصدق هذه الأكاذيب ؟ إننا لسنا مغفلين. إننا ... وردد الجماعة ما قالتة فشعرت بانسراح أكبر، إنهم على كل حال طبيونه ويصدقون جميع ما يقال لهم لذلك لست مطمئنا للنتيجة فمي يصدق جميع ما يقال له ولا يثبت على قرار واحد لا يستطيع التأكد من اعانته لنفسه أو خيانتة لها.. ونحن الآن في حاجة الى مؤمنين بالتمرد.

فهل بهؤلاء الناس نستطيع تنفيذ وصية ناجي العسل. بلدتنا أنف العفة ؟

- عليكم اللعنة. كيف انجبت أنف العفة طرطورين في نفس اليوم. إنهم شرذمة ضالة فلا نتركهم يهربون، انهم يهددون أمنكم. فالمرتد لهم. الموت أحق لهم. نظرنا إلى مصدر الصوت فإذا هو الوشاش مع بعض أنفار من أنصاره ويبتهم فإذا هم أنفسهم أنصار صالح المقتول قبل ذلك إنهم لا يثبتون على حال نصرتهم دوما لولي نعمتهم. وصرت الآن في مواجهة مباشرة مع الوشاش فسمعت أحد الملتفين بنا يقول :

- حقيقة كيف لم نتفطن إلى ذلك فهؤلاء طرطورين وفي أنف العفة طرطور واحد فمن أين أتى الآخر؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وشعرت بضرورة التحرك حتى لا يفك أمام الأمنور من أيدينا فوقفت مخاطبا.

- من انجبت طرطور تستطيع إنجاب المئات مثله وأنف العفة أقوى، أنف العفة أبقي ووصية ناجي العسل أمانة في رقبتنا وعلينا أمر تنفيذها. فتنفيذ الوصية دستور العظماء والمتمردين ثم أنشد الطرطور بعد ذلك.

« وصيتي لكم ان تغسلوني كل يوم جمعة قبل الصلاة حتى بعد مماتي ودفن جثتي تحت التراب الذي تشون فوق أديمه بخيلاء وكبرياء »

وبعد أن أتم انشاده ردّد جميع الحاضرين تنفيذ الوصية دستور العظماء والمتمردين.

لم أنتظر إفلات الامور ثانية من ايدينا فاتجهت نحو دكاني وفتحت ثم

حملت كل ما وجدت من لحم داخله وقسمته مع الطرطور وزهرة ابنة وحيدة الهجالة
وحسين النادل ثم صحننا فيهم :

مالنا جميعا مثل هذا اللحم النتن تحت أسنان الوشواش إن لم ننفذ وصية
ناجي العسل ثم إتجهنا من حيث أتينا قبل أية ردة فعل من الوشواش وجماعته
فاتبعنا حشد كبير من الحاضرين بعد أن حمل كل واحد منهم مجموعة من
الحجارة. فانشرحنا جميعا لذلك.

أنف العفة للأقوى أنف العفة أبقى.

طبعا لم تمر الامور بسلام ومثلنا توقعنا ذلك مسبقا. فقد استطاع
الوشواش وجماعته حجز مجموعات من الناس كانوا ينوون الذهاب معنا. ولم نودّ
على ذلك الامر إلا بترديدنا.

«تنفيذ الوصية دستور العظماء والمتمردين... تنفيذ الوصية دستور
العظماء والمتمردين فلماذا نصمت على الوصية ؟ أم ترانا نفذنا وصية ناجي
العسل براح بلدتنا أنف العفة ...؟»

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أحمد الحاجي

خرج

عند السّحر، عيناه غيمتان
وأنفاسه هدير : عاوده حنين
قديم للبحث. هذا الفجر الكامن
في العدم ! هذا السكون الصّاحِبُ بالحياة !
هذي الحياة ! السّير اقتراب دائم، الفكر
غول نائم، الهدف أبعد من المستحيل.
- ما وجهتك أيّها الشّقي؟
- الألفق.

اللقاء

- ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrir.com>
- الألفق بعيد وأنت صغير !
 - سأكون كبيراً عندما أصل.
 - ستعجز عن ذلك.
 - إنّما الإمكان في المحاولة.
 - لا يكفيك العزم، أين القدرة ؟
 - القدرة في العزم.
 - والعزم بالإمكان.
 - والإمكان أن تكون حراً.
 - أن تكون حراً ؟
 - أولاً تدري ؟
 - أنت تقولُ كلاماً خطيراً !
 - لقد عزمْتُ فكنْتُ حراً.

- من علمك هذا ؟
- أبي.
- وأين هو ؟
- في السجن.
- لماذا ؟
- لأنه كان يبحث.
- عمّ كان يبحث
- كان يبحث عن شيء في الأفق.
- لم يصل
- ما زال يسعى.
- وهو في السجن ؟
- أنت لا تفهمني.
- ماذا سأفهم ؟
- أن الحياة سير دائم فلا وصول.
- عيث إذن ؟
- إنما العيث ما بعد الوصول. الوصول موت والحياة سعي
- فإذا كان الوصول ؟
- الأفق يرفض الوصول. إنما هو الأمل، لا تكاد تلمسه حتى تراه أبعد من المستحيل.
- هو مستحيل إذن ؟
- المستحيل وهم
- فما الحقيقة ؟
- نشيد الحياة إذا رفرف نداء قويا يدعو إلى أن العجز هو وهم الوصول وأن القدرة هي السير حين يكون ذاك في حكم المستحيل.

- اسمع أيها الصَّبِيّ ! كلامك رعد مخيف.
- أتخاف منه ؟
- بل أخاف منك، هل لديك بطاقة هوية ؟
- أنت تراني وتسمعنني.
- ولا أعرفك.
- لأنك لا تفهم ولا تريد أن تفهم.
- لا أريدُ ؟؟
- سلبوك مقدرة الفهم.
- كيف ؟
- سلبوك حريّتك.
- أيها الصَّبِيّ ! أظنّ أنّك مطلوب من رجال الشرطة.
- الالفق يناديني.
- تعال معي، سنتحقّق من أمرك.
- اسمع أيها الرَّجُل الكبير ! يمكن أن تمنعني عن المشي ولكنك لا تستطيع أن تمنعني عن السَّعي إلى أفقي. خذني إلى حيث تريد. إنّما أمضي إلى حيث تريد، فإنّ كان العجز في البدن فالقدرة في الفكر ولا تقدر عليه.
- سهّل أيها الصَّبِيّ ! هل تأخذني معك ؟
- معي ؟؟
- أريد أن أسعى إلى الالفق.
- أُنَدري أنّك لن تصل ؟
- لذاك أسعى.
- أترى ذلك ممكنا ؟
- لقد عذمت على المحاولة.
- أأنت قادر ؟

- المقدرة في العزم.
- أعزمت حقاً ؟
- لقد صرتُ حراً، أيها الصَّبِيّ، تعال، ذلك الأفق البعيد ما أجمله، إنه ينادي.
- ابحث عن طريقك فأنت الآن حرٌ.

أحمد الحاجي



كنت

وصلنا الى عين المكان الموصوف في ذاكرتنا ؛ في السجل العقاري الشفوي الذي حفظناه منذ آلاف السنين، في ذاكرتنا التي ظلت تقاوم النسيان... وجدناها في عين المكان، هاهي ذي مدينة « جادو » ، لكنها تعرضت للكثير من عوامل التعرية، وتعرضت أيضا لعوامل التغطية، وجبل نفوسة الذي كانت المدينة تقف على قمته لم يعد جبلا،

الزوال

لقد تحول الى هضبة في طريقها الى الزوال هي الأخرى، لكن بانوراما المدينة مازالت واضحة، فالمنازل تبدو آيلة للسقوط، أسراب الغربان ونعيق البوم يذكرنا بتاريخ المدينة، لذلك لم نجروا على الاقتراب من أزقتها المهجورة خوفا من كل شيء ، حتى الحجارة التي شيدت بها المدينة الآيلة للسقوط تبدو لنا كأنها جماجم بشرية، تذكرنا على الفور أنه في ذلك الوقت الذي اجتاحت فيه الغولات مدينة جادو، كان يحكمها ويحكم كل قرى ومدن الجبل رجل شبيه بالآلهة، ولذلك فلقبه الرسمي هو «ماس»، ويقال له «ماس بيدت»، إنه نفس «أمي بيدت» الذي أطلق اسمه فيما بعد على جامع «جادو» الكبير، لكن في ذلك الوقت البعيد لم يصل الاسلام ولا أي دين من الأديان المعروفة الى ذلك الجبل، كل ما يعرفه الناس عنه أنه رجل عادل، لا يتخذ القرارات الخطيرة إلا بعد مشورة عقلاء المدينة، لكن هؤلاء العقلاء أغيثهم الوسيلة في إقناع «ماس بيدت» بأن نساء من أكلة لحوم البشر قد اجتنح «جادو»، قالوا له :

- «انهن (غولات) يا (ماس بيدت) يداهن المنازل في حلقة الظلمة ويفترسن الناس ». لكن «ماس بيدت» يسخر منهم في كل مرة، فهو لا يعتقد في الغولات ولا الغيلان، ويقول :

- « لا يوجد في الدنيا تامزا، أي لا وجود للغولة، ثم يضيف بما معناه أن الغولة هي كإنسان الشرير الذي يأكل لحوم البشر بالافتراء عليهم وليس بأكلهم كما يأكل الذئب الخرفان.

يش عقاء المدينة من اقناع الحاكم حتى أوشكوا أن يخلعوه ويعينوا حاكما آخر، لكنهم تريثوا، ظلوا يأتون اليه بهياكل عظمية خلفتها الغولات ورائها بعد أن افترسن البشر وظل هو على موقفه، كان يقول لهم : « لعلها عظام موتى اصيبوا بالوباء».

بدأ بعض العقلاء يتميِّزون غيظا وينادون بخلعه ونزع كلمة «ماس» عنه لأنه ليس لها، لكن البعض الآخر يقول : « لا، لن نخلعه، إن ماس بيدت حاكم عادل، علينا أن نبحث له عن البرهان لاقناعه».

كثر الأخذ والرد بين العقلاء وبين الحاكم، ثم امتد التذمر والاحتجاجات والسخط إلى الجماهير : « كل ليلة نفقد فردا من عائلتنا». قال بعض الناس، «كل صباح نجد عظام بناتنا وابنائنا داخل بيوتنا» صرخ البعض الآخر، ثم تعالى السخط بين الناس حتى سموا تلك الغولات باسم «غولات بيدت» وأوشك ماس بيدت على السقوط من سدة الحكم والالوهية.

لكن «ماس بيدت» كان حليما، لم يعد يقول كعادته : « لا يوجد في الدنيا تامزا»، فالغولة موجودة باجماع جماهير المدينة، لكنه سأل الجماهير :

- «متى تظنون أن الغولات يتسللن الى بيوتكم؟».

- «عند غروب الشمس»، صاحت الجماهير.

أصدر ماس بيدت أمراً باقفال البيوت بإحكام لحظة غروب الشمس كل يوم، وهكذا أصبح سكان «جادو» يسارعون الى بيوتهم قبل الغروب يقفلونها ثم ينامون.

لم يكن ماس بيدت عادلا وحليما فقط، لقد كان شبيها بالآلهة، فهو شجاع أيضا، أراد أن يتأكد من الامر بنفسه فأصبح يتأخر في الرجوع الى بيته ليلا، يراقب كل حركة في المدينة، ويعد أن يطمئن على سلامة الناس يعود الى بيته في منتصف الليل وينام هو الآخر.

في ليلة من الليالي شاهدهن ! شاهدهن بأَم عينيه يفترسن رجلا بنهم، ثم
أسرعن اليه هو الآخر فصاح قبل أن يصلن اليه : « إيجن يا كوش » أي «واحد
هو الله، فاختفين في طرفة عين وعاد هو الى بيته.

هنا اعترف ماس بيدت للناس قائلا : «تامزا تلاء» أي إن الغولة موجودة
حقا، وروى لهم ما رأى بأَم عينيه.

بعد رواية ماس بيدت أصبح الناس اكثر ذعرا، بدأ بعضهم لا يغادر بيته
في النهار الا في الضرورات القصوى، أما البعض الآخر فاختار أن يسجن
نفسه في بيته ليل نهار، من يدري ؟ لعل تلك الغولات يتجرأن على ضوء الشمس
ويخرجن من مخابنهن لكي يفترسن البشر في رابعة النهار.

لكن ماس بيدت العادل الحليم الشجاع أخذ على عاتقه كل المسؤولية، فلا
يرجع الى بيته الا في منتصف الليل بعد الاطمئنان على سلامة الناس، فاختار له
مكانا في وسط المدينة هو هذا المكان الذي يعرف الآن باسم «تامزكيدا - ن -
آمي بيدت» أي جامع ماس بيدت ، يجلس هناك ويراقب كل البيوت ثقلا الواحد
تلو الآخر، لقد تعلم كيف يفرق جموع الغولات وأصبح يتعلم تعاويذ أخرى لجمعهن
إذا دعت الضرورة، ورغم أن ماس بيدت رجل قتل فليس له من الذرية سوى بنت
واحدة، يحبها كثيرا ويخاف عليها من انتقام الغولات فيفترسنها وهي وحيدة
وقرة عينه، إنها «توزين» الجميلة المراهقة.

في منتصف احدى الليالي قفل «ماس بيدت» راجعا الى بيته بعد أن أخذ
الناس يداعب جفته، كان الباب مواربا، فأثر أن يتأكد على سلامة بيته من خلال
الباب الموارب، وهناك كانت الكارثة : لقد شاهد بأَم عينيه ابنته «توزين» قد
تحولت الى غولة ! كانت مع رفيقاتها من الغولات يلتهمن أنسانا ! «توزين» الفتاة
الجميلة اصبح لها نابان طويلان وعينان حمراوان تنتقدان كأنهما جمرتان...
تفترس مع رفيقاتها الغولات أحد الضحايا، فصاح ماس بيدت بتعويذته :

- «إيجن يا كوش» ! وفي طرفة عين هربت ابنته مع رفيقاتها الغولات،
ويات ماس بيدت دون أن يغمض له جفن، يفكر في مصير ابنته التي تحولت الى
غولة، ظل يعاني الألم والأرق حتى الصباح، يفكر في الوسيلة التي يخلص بها
«جادو» من اولئك الغولات ومن ابنته التي تحولت هي الأخرى الى غولة تأكل
البشر.

في الصباح خرج ماس بيدت من بيته الى الساحة التي تتوسط المدينة، الواقعة على حافة الجبل والمسماة «توما - ن - أدرار»، حيث نقف نحن الآن، من هنا نادى ماس بيدت في سكان «جادو» أن تعد كل عائلة قصعة من الكسكسي بلحم البقر، وفي منتصف النهار أحضر السكان قصاعهم ووضعوها في هذه الساحة كما أمرهم ماس بيدت، ثم صعد الى مكانه الذي اعتاد الجلوس فيه حتى منتصف الليل والذي اصبح الآن جامعا يسمى «تامزكيدا - ن - أمي بيدت» ومن هناك قرأ تعاويذه فأسرعت الغولات وظهرن من مخابئهن بما فيهن ابنته، وهجمن على قصاع الكسكسي يأكلن ويزدردن لحوم البقر، ويعد أن أتين على القصاع، عاد «ماس بيدت» يقرأ تعاويذه ثم صرخ في الغولات جميعا :

- «اذهبن إلى أبعد من «وادران».

في طرفة عين طارت الغولات بما فيهن «توزين» وغادرن مدينة جادو في هيئة سحابة من الغبار، ثم التفت ماس بيدت إلى السكان وقال :

- «لقد انقرضت جادو في الماضي ثم عمرت مرة أخرى، وستأتي الغولات في المرة الثالثة لتدمر جادو الى الأبد».

أسراب الغربان وأصوات البوم، وخجاجة أبناء البيوت المدينة التي تبدو وكأنها جماجم بشرية من مكاننا هذا الذي نقف فيه، كل ذلك يؤكد أن الغولات قد أتين مرة أخرى، والدليل أن السكان أنفسهم قد انقرضوا، قيل لنا : (إن جادو) تشيع كل يوم جنازة ، ورغم أن تقارير المستشفى ومحاضر الشرطة تقول أن الوباء وحوادث المرور هي المسؤولة على دمار المدينة إلا أن بقية السكان لا تصدق ذلك، فنحن ايضا لم نصدق هذه الأقوال، كان الوقت ظهرا فتحركنا الى المكان الذي كان يجلس فيه ماس بيدت والذي تحول الآن الى جامع يسمى «تامزكيدا - ن - أمي بيدت»، صلينا ثم حاولنا أن نقرأ تعويذ ماس بيدت لكن ذاكرتنا لم تسعفنا، لقد مات ماس بيدت قبل ثلاثة آلاف عام ؛ فرجعنا الى سيارتنا وانطلقنا صوب مدينة طرابلس، كان غبار السيارة وراءنا كأنه سحابة الغولات تطاردنا، ولم نتنفس الصعداء حتى وصلنا الى مدينة طرابلس، لكننا مازلنا لم نفهم كلمة (وادران) في دعاء ماس بيدت على الغولات، بعضنا يقول انه يقصد وهران أما

بعضنا الآخر فيعتقد أن وادران هي مدينة (ودان)، في جميع الاحوال كنا متفقين
أن الغولات عدن الى مدينة (جادو) مع «توزين» ودمرتها الى الابد، أما جبل
نفوسة نفسه فقد تحول الى هضبة في طريقها للزوال.. حتى صخوره أصبحت
تتن من حشرات الموت البطيء (1).



(1) المادة الاصلية لهذه القصة من التراث الشفوي الليبي

عبد الوهاب الفقيه
رمضان

ضجيج

في رأسك... ضجيج أمامك -
ضجيج وراءك... ضجيج حولك..
حاولت أن ترفع قدمك عن
الارض لتتقدم خطوة، وجدت رجلك مسمرة
في الارض. هممت بالتفوه، وجدت لسانك
معقودا.. أنت لست أنت.. والزمن ليس
الزمن.. والمكان ليس المكان.

سرطان عملاق

قيودك تكبلك كلما حاولت التحرك

مكرونا واحدا.. الرؤية لم تعد واضحة أمامك الألوان ليست مميزة.. الاشياء ليست
متضحة الاشكال والاحجام.. الاصوات مبهمه، لم تعد تفرق بين نعيق البوم وهديل
الحمام.

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

لا تدري كم مضى عليك وأنت مسمر هكذا.. ربما أربعمئة وستون ألف
يوم.. ربما أقل وربما أكثر.. لو حسبتها بالساعات، لوجدتها أحد عشر مليونا
وأربعين ألف ساعة.. لو حسبتها بالدقائق لوجدتها ستمائة واثنين وستين مليونا
وأربعمئة ألف دقيقة.. لو حسبتها بالثواني لوجدتها تسعة وثلاثين مليارا
وسبعمائة وأربعة وأربعين مليون ثانية.

كم يسينك أن تحسب زمناك بالدقائق والثواني.. لأنك تعودت أن تقتل
الوقت.. تارة بالزق وتارة بغلام خصي.. وتارة بغلام فحل.. وتارة بجارية.. وتارة
بكذبة صغيرة تتلهى بها.. فتتضخم الكذبة.. تقنع غيرك بأن كذبتك صدق..
يصدقك الآخرون.. ثم تنتهي بأن تصدق أن كذبتك صدق. تبني غرفة على أساس
هذه الكذبة...

أحد البابايات أراد قتل غريم على العرش.. بني قصرا منيفا جعل أساسه

كميات هائلة من الملح.. الغريم انتفخ كذكر الطاوس.. رأى نفسه حمارا يجري وراء الأسد الذي فر على صياح ديك فجأة.. جمع الغريم أذياه يخطط ويدبر.. في أول ليلة قرّ تهدّم البناء على رأسه ورؤوس عياله وأذياه، ورثاه الشعراء.. بكاه الأذيال.. ابنه الباي بنص درّ دموع عديد السذج.. مدينتك التي بنيتها أساسها لا يختلف في شيء عن أسس القصر الذي بناه الباي لغريمه.. مدينتك تهدمت ألف مرة على رأسك ورؤوس رعيتك وأعدت بناءها لتهدّم مع أول قطرة ندى.. ما أيسر أن يبني الشيء بوهم، وما أقسى أن يهدّم البناء لأقل هبة نسيم..

- أنا سلطان نفسي.

- أرقص لك قرد لسانه.

- أنا سلطان المدينة.

- ضرب لك خنزير بلسانه.

- أنا سلطان السلاطين.

باركتك حيوانات الغابة كلها.. أليسوك تاجا.. جعلوك «كركون» طافوا بك أنحاء الدنيا كلها.. أنت لا تزن أكثر من وزن قيترون.. لكنهم قالوا عنك : انك تزن وزن مجرة.. انتفخت وما دريت أن انتفاخك ورم.. عمدوك ببولهم وقد ظننت أنهم عمدوك بمائهم المقدّس..

أمرت أعوانك بأن يأتوك بكل أنواع المرايا.. جعلت نفسك في اطار مكاني كلّه مرايا.. من حيث تلتفت ترى نفسك.. عفوايا سقراط ليس من السهل أن يقال عنك : انك ترى نفسك.. من حيث تلتفت ترى جسمك المتورّم.. أعجبتك لعبة أن تحقّق في المرأة التي أمامك حيث تراك متورّما متكرّرا عدّة مرات الى ما لا نهاية.. تجرّدت من أثوابك.. نظرت الى عضوين.. حدّقت النظر.. قلت قصائد غزل.. لكنت لم تتجاوز التفزّل بجسمك المتورّم.. ادخلت وسطاك فيه، أعجبتك اللعبة.. ذاك أعظم عمل أنجزته في حياتك.

قال لك واحد من رعيتك :

- لست عاجزا عن التقدم.. عجزك وهم.. هذا الوهم عشت فيك حتى أصبحت تتوهم أن الوهم حقيقة كما أصبحت تصدق أن كذبتك صدق.

تدحرج رأس المتكلم كتدحرج كرة القدم.. سال الدم أحمر قانيا.. رأس الجثة طلع شجرة.. الدم تصاعد السنة لهب تأكل جوفك.. بقية الجثة صارت وطنا.. أمرت بقلع الشجرة.. لن تقلع.. حاولت إطفاء اللهب في داخلك.. لن يطفأ.. أردت إلغاء الوطن لن يلغى..

قال لك واحد من رعيّتك :

- أنت لست ضخما ضخامة عظيمة - أنت ورم كبير .. أنت سرطان عملاق، تدحرج رأس المتكلم الثاني كقنبلة أندفعت من فوهة مدفع.. صار الرأس جبلا راسخا.

صارت الجثة نهرا.. صارت الدماء رداء يلف الورم السرطاني .. عندما يشتدّ اللهب من الداخل يضيق الزداء فتقبض نفسك حتى تتمنى أن تتخلص منك..

اجتمعت الرعية يوما وفي يد كل واحد حربة حادة الطرف، اندفعت نحوك اندفاع السيل من قمة الهملابا.. لكنها لم تستطع الوصول اليك.. كانت كلها عزيمة في ثقب جثتك حتى تعود الى حجمك الطبيعي.. حال بينك وبين الرعية كل حيوانات الغابة.. انيابها حادة أظافرها طويلة.. لم تعمل الحراب فيها لأن أجسامها قدت من صلب صلد.. خرجت من أفواه حيوانات الغابة أشعة وغازات.. ألقى الرعية صرعى.. لتهب شعبا..

نزع عنك التاج فهو لم يعد يصلح للإطار المكاني وللإطار الزماني.. ألبسوك وساما زادت به جثتك تورما وجعلت كذبتك تكبر أكثر.. أبدلت مراياك بمرايا أكثر صفلا حتى ترى تورمك بوضوح أكثر.. وكبرت وسطاك .. وليس لك في الدنيا عمل آخر تنجزه..

اندفع شخص وقد نال شهادت كثيرة.. أحضر ما يملك من بيان ومنطق ليقنعك بانك متورم ... جعلته وزيرا للعقل وألبسته وساما لكنه أصغر من وسامك الذي علّقه عليك حيوانات الغابة.. بدأ هو أيضا يتورم ولكن تورمه كان أقل

ضخامة من تورمك.. أصبح بيانه قصائد مدح للتورم.. وأصبح منطقته تنظيرا الى أن التورم ضخامة ..

اندفع شخص قد طالعت لحيته وتهدكت ثيابه.. رسم لك رسما ساخرا ضخم فيه وسطاك.. استحسنت رسمه.. ابتسمت له.. شجعت على ممارسة الفنون بكل ضرورها.. ثم جعلته وزيرا للذوق.. أصبحت رسومه تحسن التورم.. صارت أنغامه تتغنى بالتورم وصارت حكاياته تكرر التورم.

جاءك ثالث عنيد.. وقف أمامك صامتا كالصنم.. خاطبتك، لم يجبك، حدثت فيه فلم يطرف له جفن.. كان يعلم الفيزياء صغيرا.. لكنه بذلك أضخم منك.

لم تصبر على بقاءه أمامك جامدا لا يتحرك.. كلما نظرت اليه أحسست بالرداء يزداد ضيقا وباللهب يزداد حرارة.. حاولت الإمساك به لتضغط على رقبتك فانساب بين كفيك انسياب الزئبق.. تقدمت وتأخرت، ثم وجهت له ضربة بقدمك المتورمة فاذا باصابعك تغوص في قدمك.. واذا أنت تسقط متدحرجا وهو واقف أكثر ثباتا، غاظك أنه لم يضحك.. لم يشعر بأنه يسخر منك.. غاظك أكثر أن خاطرا طارئا انتاب ذهنك أنه يشفق عليك..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أمرت بشنقه لكن حيوانات الغابة اعترضوا.. في ذلك! اعتداء على حقوق الانسان وإهدار للشرعية الدولية.. قالوا لك : إن وجوده ضروري لبقائك في هذا الاطار الزماني والاطار المكاني.

- ماذا عساني أن أصنع وأنا لا أتحمل رؤيتك.

قال لك وزير العقل :

- سجل كل كلمة ينطق بها وسوف أدرسها دراسة مستفيضة ثم أرد عليها..

- لكنه لا يتكلم.

ابتسم وزير العقل وقال :

- لقد أدركت كيفية مقاومته.

- انجدني.
- اجعله ينطق.
- كيف.
- بالترغيب.. وإذا لم ينطق فالترهيب.
- بماذا تظنه ينطق.
- بسبك طبعا.
- هممت بأن تنتفض غضبا.. لكنك لم تستطع.. أنت مسمر.. قلت مقهورا :
- يسبني
- أجل لا بد أن يسبك.
- هذا جنون..
- كلاً.. حتى تسمى رعبك شعبا لا بد أن يوجد فيها شخص يسبك..
- ولكي يرضى عنك حيوانات الغابة لا بد أن يوجد فيها شخص يسبك.
- هذا جنون..
- لا... هذه ديمقراطية.. أنا نصحت لك.. وأنت حر..
- لا بد من استشارة وزير الذوق.
- دعوت وزير الذوق.. جاءك أمر بعد أن نتفت له لحية الكثة التي أتاك بها أول مرة شعرة شعرة..
- أهلا بوزيرنا الهمام.
- شكرا يا صاحب الفخامة.
- دعوتك لاستشيرك في أمر ذاك الأبق.
- لقد بلغني أمره
- وبقيت صامتا راضيا..

- من أخبرك بهذا أنا بصدد التخطيط لاستغلاله.

- كيف.

- لقد برمجت له جلسات عدة يعقدها في دور الذوق التي أشرف عليها..
وخصصت له حصصا يبرز فيها أمام شعبك الكريم على شاشة التلفاز.. وحددت
له ندوات ومهرجانات تعقد في الخارج ليمتلك فيها..

- أنا يمثلني ذاك ال...

- لا لا لا لاداعي للغضب.. لا تنفوه بما يردئ ذوقك..

- كيف يمثلني انسان لم أعينه شخصيا لتمثيلي..

- ولماذا تعين من يمثلك.. أنت تمثل كل فرد من شعبك.. وكل فرد يمثلك
شاء ذلك أم لم يشأ.

أحسست بالرداء يضغط عليك وباللهب يأكل داخلك.. حاولت القيام بعمل
للتخفيف ممّا تحس به لكنك وجدت نفسك مسمرًا.

- أنا أول انسان هنا أحببت أم كرهت.. وأحب غيرك أم كره.. أنا
الحاكم.. كلامي دستور وأوامري قانون..

- لا.. عيب.. صاحب الذوق الرفيع لا ينطق بهذه الافكار القروسطية. تلك
رجعية وظلامية وارتداد الى عصور الانحطاط والاستبداد.. أنت لست أول
انسان.. أنت فرد من هذا الشعب.. نصّبك الشعب.. وهتف الشعب بحياتك وهو
يفيدك بروحه ويدمه ان لزم الامر.. ليس كلامك دستورا بل الدستور هو الذي
وضعك لتحميه.. ولبست أوامرك قانونا. بل القانون هو الذي نصّبك لتنفيذه..

- علي بوزير الهراوة حالا.. أنتم خونة - لابد من تأديكم..

صرخت فتتطاير رذاذ لطخ مراكب.. وقيل لك : ان وزير الهراوة في مهمة
لدى حيوانات الغابة.

جاءك وزير العقل.. تقدم نحوك بخطى وثيدة.. تمدد على الأرض رفع
قدمك فسمرها فوق رقبتك. قال لك.

- اقتلني قبل أن تقتل وزير الذوق.. لكن ثق أن حيوانات الغابة لن تتركك

لحظة بعد اليوم.. الديمقراطية وحقوق الانسان والشرعية الدولية - كلها ستحاكمك
بأنك تغتال العقل والذوق..

- أما بلغك ما قاله السفه ؟

- بلغني كل حرف.. فلم أجد غير الحكمة والصواب.

- أترضى أن يسبني واحد من الرعا ع.

- لكل عصر قيمة.. وقيم هذا العصر تفرض عليك أن تترك البعض من
شعبك يسبك وعليك أن تنشر ما يقوله من شتائم لدى حيوانات الغابة
بالخصوص.. وإياك ثم إياك أن تمسه بسوء...

- أنا لم أفهم شيئا مما تقول

- ومتى كنت تفهم شيئا..

- ماذا قلت ؟

- قلت ومتى كنت تفهم شيئا مما يتعلق بالرعا ع والسوقة وسفلة القوم.

- عجب أمر هذا الزمان.. دعنا من هذا بماذا تشير ؟

- أشير أولا أن ترسل بعض أعوانك ينشرون في الناس إمكانية تنصيب

ذاك الصفيق وزيرا..

- ماذا ؟

- كلام ... كلام فقط !.

- لكن لماذا ؟

فهقه وزير العقل قائلا :

- حتى يتورم هو أيضا...

- أتراه يتورم ؟.

- أجل ... لكن تورمه سيكون مركبا.

و. سومرست موم
تعريب
محمد بلحاج صالح

كنت

في باجان ببورما، ومن هناك
أخذت السفينة الى مندلي، ولكن
قبل الوصول بيومين وصلنا الى
قرية بجانب النهر فأرست السفينة لتبيت
ليلتها، وقررت الخروج الى البر. فقال لي
الريان أن هناك ناديا صغيرا وجميلا سوف
أجد فيه الراحة ! وقد تعود أهله الغرباء
الذين يغادرون السفينة لقضاء ليلة، والمدير

مَآيِلْ

رجل مهذب جدا. وربما ألعب البريدج، ولا شيء عندي لأفعله، فركبت إحدى
العربات المنتظرة عند النزول وتوجهت الى النادي. كان هناك رجل يجلس في
الشفرة، وعندما دخلت حياشي وسألني إذا كنت أرغب في شرب الوسكي أوجن
وببتر. ولم يخطر ببالي أنني قد لا أرغب في شيء، فاخترت المشروب الذي يتطلب
احتساؤه وقتا أطول وجلست. كان رجلا طويلا، ونحيفا، قد سفعته الشمس، كبير
الشارب، يلبس تباننا خاكيا، وقميصا خاكيا. لم أعرف اسمه، ولكن عندما تحدثنا
قليلا دخل رجل آخر وقدم إلي نفسه على أنه المدير، ودعا صديقي باسم جورج.

وسأله :

- هل وصلك شيء من زوجتك.

فبرقت عينا الآخر.

- نعم، وصلتنني رسائل ببريد اليوم، وهي سعيدة.

- هل أوصتك بالا تقلق ؟

فضحك جورج ضحكة خفيفة بدت لي مثل التنهيد.

- هي في الحقيقة قد فعلت. ولكن القول أسهل من العمل : فأنا أعلم بالطبع أنها تريد عطلة، وأنا مسرور بحصولها عليها، الا أن ذلك صعب جدا على الرجل وأستدار نحوي «فلاول مرة أنفصل عن زوجتي، وأنا وحدي مثل الكلب الضائع».

- منذ متى تزوجت ؟.

- منذ خمس دقائق.

فضحك مدير النادي.

- لا تكون غبيا يا جورج فأنت متزوج منذ ثماني سنوات.

وبعد أن تحدثنا قليلا، نظر جورج الى ساعته وقال : لا بد من الذهاب حتى يغير ثيابه للعشاء وغادرتنا. فنظر إليه المدير بابتسامة ساخرة لا تخلو من عطف وهو يختفي في الليل.
وقال لي :

- كلنا نسأله ما أمكننا الآن لأنه وحده، فممن أن ذهبت زوجته الى أرض الوطن استولت عليه الكآبة.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- انه لشيء جميل بالنسبة اليها أن تعلم أن زوجها مخلص لها كل هذا الاخلاص.

- مايبيل امرأة عجيبة.

استدعى الخادم وطلب مشروبين آخرين. وفي مثل هذه الاماكن المضيافة لا يسألونك إذا كنت ترغب في شيء ؛ وإنما يأخذون ذلك على أنه شيء مسلم به. ثم استقر في جلسته فوق كرسية الطويل وأشعل سيجارة، وقص علي قصة جورج ومايبيل.

خطبها عندما كان يقضى عطلة بأرض الوطن، ولما عاد إلى بورما اتفقا على أن تلتحق به خلال ستة أشهر، ولكن العوائق برزت الواحد تلو الآخر ؛ فتوفى أبوها واندلعت الحرب، وأرسل جورج الى مقاطعة غير مناسبة للمرأة البيضاء ؛ وأخيرا مضت سبع سنوات قبل أن تبدأ هي سفرها. وأعدّ هو كل شيء للزواج

الذي سيتم يوم وصولها، فنزل الى رانجون لاستقبالها. وفي الصباح الذي ستصل فيه السفينة استعار سيارة وذهب مباشرة إلى الرصيف. وأخذ يمشي جيتة وذهابا. وفجأة، ودون سابق إنذار، خائنه قواه فهو لم ير مايبل مدة سبع سنوات فنسى كيف هي، وأصبحت غريبة عنه تماما. فشعر بالغثيان، وبدأت ركبته ترتعشان. فلم يستطع تحمل ذلك. لا بد من أن يقول لمايبل : إنه اسف جدا، لأنه لا يستطيع الزواج بها. ولكن كيف يقول رجل مثل ذلك لفتاة خطبها منذ سبع سنوات وقطعت مسافة ستة آلاف ميل لتتزوج؟ ليست له القوة على تحمل ذلك أيضا. استولى على جورج اليأس. وكان على الرصيف مركب على وشك المغادرة إلى سنغفورة : فكتب رسالة مستعجلة الى ما يبل، وقفز الى المركب لا يحمل معه سوى ثيابه. وكانت الرسالة التي تسلمتها مايبل على النحو التالي :

«... عزيزتي مايبل ، لقد دعيت فجأة الى القيام بمهمة ولا أعلم متى سأعود وأرى أنه من الأحسن أن ترجعي الى إنجلترا. فيبرنامجي غير واضح».

محبك جورج.

ولكنه عندما وصل الى سنغفورة وجد برقبة تنتظره.
« مفهوم. لا تكثرث.
<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

مع حبي مايبل !»

وقد جعله الخوف سريع الانتباه.

فقال : « يا الهي، اعتقد أنها تتبعني ».

فأبرق الى مكتب الملاحة برانجون فتأكد من وجود اسمها في قائمة المسافرين على ظهر السفينة القادمة الى سنغفورة. الوقت ضيق جدا. فقفز الى القطار اذاهب الى بانكوك. ولكنه لم يكن مرتاحا ! فليس من الصعوبة عليها أن تعرف أنه ذهب الى بانكوك، ويتفلسف البساطة التي أخذ هو بها القطار سيكون الأمر بالنسبة اليها. ومن حسن الصدف أن كانت سفينة شحن فرنسية ذاهبة الى سايجون في اليوم التالي ، فركبها. فسيكون أمنا في سايجون ! فلن تفكر في ذهابه اليها : واذا فعلت فلا بد أنها الآن قد تفلطت الى أنه سيكون هناك. فمن بانكوك الى سايجون مسيرة خمسة أيام والسفينة قذرة، وضيقة، وغير مريحة.

فرح بوصوله، فركب عربة ألى الفندق. ووقع اسمه في كتاب الزوار، وحالا سلمت اليه برقية. لا تحتوي الا على كلمتين :

«مع حبي. ماييل».

وهما يكفيان لجعله يسبح في عرق بارد.

وسأل : «متى ستغادر السفينة الزاهية الى هونج كونج؟».

اصبح الآن هرويه متأكدا. فسافر الى هونج كونج. ولكنه لم يستطع البقاء هناك ! فذهب الى مانيلاً : كانت مانيلاً تنذر بالسوء ، فواصل السير الى شانجاي : فكانت شانجاي مثيرة للأعصاب ! فكل مرة يغادر فيها الفندق يتوقع أنه سيقع حالا في حضن ماييل ! لا ، شانجاي لا تغيد مطلقا. فلم يبق الا الذهاب الى يوكاهاما. وفي الفندق الكبير بيوكاهاما وجد برقية تنتظره :

«... أسفة جدا لانني لم اجدك في مانيلاً.

مع حبي . ماييل».

فيحت بدقة وقلق دليل السفن ، أين هي الآن ؟

رجع الى شانجاي. وفي هذه المرة ذهب مباشرة الى النادي وسأل عن برقية فسلمت اليه. <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

«... سأصل قريبا. مع حبي. ماييل».

لا ، لا ، لن يكون الالتحاق به بتلك السهولة، فهو قد أعد خطته. فالليانجتس نهر طويل ماؤه في انخفاض، وهو سيأخذ في آخر لحظة آخر سفينة يمكنها الابحار الى تشونج كنج، وبعد ذلك لا يستطيع اي كان السفر حتى الربيع القادم، ما عدا السفر بالجنك(1). ورحلة مثل هذه لا يمكن للنساء القيام بها منفردات. فذهب الى هانكو، ومن هانكو الى إشانج حيث انتقل الى سفينة اخرى، ومن اشانج ذهب الى شانج كنج خلال انحدار الانهار. كان يائسا، فهو لن يخاطر : فهناك مكان يدعى تشانج تو، عاصمة أيشوان، وهي تبعد اربعمائة ميل. لا يمكن الوصول اليها إلا بواسطة الطريق، والطريق يقطعه اللصوص. فهناك يمكن للمرء أن يكون آمنا.

(1) الجنك سفينة شرعية صينية.

جمع جورج الحمالين وسافر. فشعر بالراحة عندما رأى جدران المدينة الصينية ذات الفتحات التي يمكن للمرء رؤية غروب الشمس على جبال التبت المغطاة بالثلج.

وأخيرا يمكنه أن يرتاح : فلن تجده مايبل هناك.

وصادف أن كان القنصل بالمدينة صديقا له ، فبقي معه متمتعا بالراحة، والدار الفخمة، والبطالة ، بعد هروبه الشاق قاطعا آسيا. وتمتع خاصة بأمنه المقدس. مرت الأسابيع ببطء الواحد تلو الآخر.

وفي أحد الأيام كان جورج والقنصل بالساحة ينظران إلى شيء غريب أتى به صيني لينظرا إليه، وإذا بدق قوي على باب القنصلية الكبير، ففتحه الحارس، وإذا بكرسي يحمله أربعة حمالين يدخلونه ويتقدمون به ويجلسونه وتخرج منه مايبل على أنه استعداد. فلا شيء يدل على أنها قدمت بعد قضاء أسبوعين بالطريق. فصعق جورج، واعتراه شحوب الموتى، وتقدمت هي نحوه.

- أهلا جورج، لقد كنت خائفة جدا الا اجدك مرة اخرى.

فتلعثم :

ARCHIVE

- اهلا مايبل.

لم يعرف ماذا يقول. فنظر الى هنا وهناك : فوقفت بينه وبين الباب الخارجي. ونظرت اليه وابتسامة تلوح في عينيها الزرقاوين.

وقالت :

- لم تتغير ابدأ، فالرجال يتغيرون كثيرا في سبع سنوات، وقد كنت خائفة من أن أجدك سمينا وأصلح. لقد كنت عصبية جدا. وسوف أنزعج كثيرا لو أنني بعد هذه السنوات لا أكون قادرة على الزواج بك.

استدارت نحو مضيف جورج.

وسألت :

- هل أنت القنصل ؟

- نعم.

- هذا حسن. أنا مستعدة للزواج به حالما أنتهى من حمامي.

وفعلت.

جلست

في فراشها وسط العتمة تبكي
نفسها في صمت وتتسلل الظلمة
إلى أعماقها فتملؤها وحشة وكآبة.

أحقا صارت مخطوبة ؟ إنها لا تكاد
تصدق ما حدث. لقد تمّ كل شيء بسرعة
مذهلة ودون مقدمات كالحلم الخاطف، حتى
انهم لم يسألوها رأيها.

الليلة الفاصلة

الحقيقة ليس لديها ما تعيبه على

سالم، شباب، رجولة، مال، وأصل عريق.
ماذا تريد أكثر من ذلك ؟ ثم إنها لم تعد صغيرة وقد سبق لها أن رفضت
أكثر من واحد تقدموا لخطبتها دون ميرر مقبول.

لم تستمر فترة الخطوبة غير بضعة أشهر. وما أن حل الصيف من ذلك
العام حتى بدأت الاستعدادات حثيثة لإقامة الفرح.

كانت البهجة والمسرة تملأ قلوب الجميع. وتطفح على وجوههم، وتغمر كل
شيء حولهم إلا هي فقد كانت حزينة القلب، مكتئبة النفس. وقد حرصت على
إخفاء ما بها عن أعين الجميع تحاشيا للسؤال ومنعا للقليل والقال.

ورغم نجاحها في تضليل الكل فإنها لم تقدر على مغالطة أمها التي
تفطنت لحالتها ، وعين الأم لا تخطئ وهي ترى ما لا تراه عيون الآخرين.

وتلح عليها في السؤال فلا تظفر منها بجواب يقنع العقل، ويريح القلب
ويشفي الغليل.

ولما عجزت في الحصول منها على ما تريد أرجعت الأمر في النهاية إلى

إمكانية استمرار إحساسها بالغبن والمهانة لعدم استشارتها بشأن الخطوبة.
وتبدأ مراسم الفرح، ويحين الوقت لتودع أهلها وحضائر طفولتها
وصباها.

يركبونها هودجا جميلا مزركشا، متعدد الالوان ثبت على ظهر ناقة طيبة
ذلول، ويمضون بها في موكب حافل يتقدمه الفرسان والرجال، اختلطت فيه
أهازيج وزغاريد النسوة بطلقات البارود وصهيل الخيول.
وما ان بلغ الموكب منازل القوم حتى خف أهل العريس وسكان الحي
لاستقبال العروس ومن رافقها من الأهل والأقارب والأحباب بالزغاريد وطلقات
البارود.

ويعد أن طافوا بها حول خيمتها سبع مرات أنزلوها من الهودج وأدخلوها
إلى الخيمة.

رحبت أم العريس بها وأمها وأخواتها ثم تلتها فتيات ونساء الأسرة
والحي.

وحاولت العروس جاهدة في أن تبدو طبيعية أمامهن رغم أنها كانت شديدة
التوتر والانقباض وتقبل النساء ويطلوه يزداد انقباضها وتوترها. وتقول بعض
النساء الشابات وقد لاحظن عليها ذلك مهونات عليها الأمر :

- كلنا مررنا بنفس التجربة قبلك إنها أشقى وأحلى ليالي العمر، وهي
الليلة الفاصلة في حياة كل فتاة .

تمر الساعات سريعا. وتسمع من بعيد أصوات - العراسة - تقترب
رويدا رويدا. وهم يرددون بالتناوب بعض المقاطع من قصيدة البردة في انشاد
مؤثر جميل.

وتغادر النسوة الخيمة ويتركنها وحدها لتستقبل عريسها بعد أن يشجعنها
ويثبئن قلبها ويصدعن رأسها بنصائحهن ووصاياهن وهي جامدة مكانها مشغولة
عنهن بهواجسها وأحزانها.

ويصل موكب العريس. فتزداد دقات قلبها تسارعا، وتصطخب الاصوات

في أذنيها قوية مدوية.

وما يلبث العريس أن يدخل الى الخيمة يصحبه وزيره الذي لم يتوقف عن اسداء نصائحه إليه في كيفية معاملته لعروسه.

يتخذ العريس مجلسه أمام عروسه التي كانت متربعة على الفراش مغطاة كلها لا يبدو منها أي شيء تعبق منها رائحة العطر والبخور.

أحب بها ودعاها ليسط كفها حتى يضع بها بعض النقود لتسفر عن وجهها وتبادله الحديث.

انتظر لحظات لكنها ظلت جامدة لا تتحرك يقول في نفسه :

- لا شك أنها خائفة وخجلى.

نهض من مكانه وجلس القرفصاء قريبا منها وضع النقود في حجرها. ثم مد يديه ليرفع النقاب عن وجهها قائلا في رقة ولطف :

- اسمحي لي أن أكشف عن وجهك المليح.

تمسك بإزارها بقوة لئلا تمنعه من ذلك فينتابه الغضب ويقول لها متوعدا :

- إن لم تفعلين ذلك بنفسك، وظللت مصيرة على حجب وجهك عني فسوف أقوم أنا بذلك.

فلا تضطرينني لما لا أحبه وأرضاه.

سهل قليلا ينتظر ردها لكنها ظلت على حالها ولم تصدر عنها أية حركة. فعمد إلى تحية غطاء رأسها عنوة. وحاولت منعه لكنها لم تغلق.

لما انكشف رأسها غطت وجهها براحتيها وأطرقت إلى الأرض.

عمل على رفع يديها الرقيقتين الجميلتين المخضبتين بالحناء المزيّنتين بالخواتم عن وجهها الأسمر ونجح في ذلك إنها ساحرة الجمال.

قال لها معتذرا :

- ما كنت أحب أن يحدث هذا منك ومثني.

ترفع رأسها قليلا ولبعض لحظات ثم تعود إلى إطراقها من جديد وتجهش بالبكاء.

ينتابه إحساس بالضيق والمرارة، ويتحير منه الفكر، ماذا يفعل ؟
ويزيد من ضيقه همس وزيره إليه من خارج الخيمة يتعجله :
- لقد تأخرت كثيرا، مل الناس الانتظار.

- حسنا .. حسنا.

ينهض واقفا ويقول مخاطبا عروسه :

- أسمعت ؟ انك لا تجهلين عاداتنا. لن يغادروا المكان قبل أن يعرفوا
النتيجة ويرونها بأنفسهم على ثوب زفافك.
ويزداد نحيبها. ويعود هو الى القول وكأنه يصدر حكما لا يقبل النقض
والتعقيب :

- لا بد مما ليس منه بد.

وترفع رأسها تحوه فيرى على ضوء المصباح الغازي وجهها الجميل
والحزين قد اغتسل بالدموع ويلمخ في عيشها الدعاوين خوفا وضراعة وتوسلا.
ويسألها في توجس وريبة :

- ما بك ؟

.....

- يجب أن تتكلمي. هل بك شيء ؟

تحرك رأسها بالإيجاب دون أن تنبس بحرف ويعود لسؤالها من جديد :
- يجب أن أسمع جوابك بوضوح حتى لا أظلمك وأظلم نفسي، وأظلم
أحمل وزرك معي بقية عمري.
إنها مسألة شرف كما تعلمين، ومسألة حياة أو موت في النهاية.
ويزداد نحيبها.

ويسألها للمرة الاخيرة وكل شيء فيه ينزف ألما :

- هل فقدت عذريتك ؟

تجيب بصوت منكسر تخنقه الدموع :

- نعم .. نعم ..

- لقد دمرتني ودمرت نفسك

وتتعلق به متوسلة مسترحمة :

- استرني، الله يسترك. لا تفضحني. لا تحكم علي بالموت

.....

- أبقى لديك أياما ثم طلقني

.....

تدوي بأذنيه أصداء أصوات بعيدة متداخلة تروي حكايات مروعة عن الشرف والثأر.

وتتزاحم في رأسه وذاكرته صور صبايا وفتيان ونساء ورجال وشيوخ وعجائز وهم يصارعون سيلا من الدم لكن أمواجه العاتية تطويهم بقوة وقسوة وتجرحهم إلى الأعماق ولا تترك لهم سبيلا للنجاة بأنفسهم رغم محاولاتهم اليائسة. ويندفع الى خارج الخيمة. وما أن يراه الناس حتى تصيبيهم الدهشة ويعتريهم الوجوم. ويخيم عليهم السكون. سكون قاس مرير مشوب بالترقب والحذر.

وتشرئب إليه الاعناق وتتعلق به الابصار.

ويهرع إليه وزيره الذي أذهلته المفاجأة ويسأله :

- ماذا حدث ؟ هل هي ؟

- نعم

- احذر يجب أن تكون واثقا من ذلك. الامر خطير كما تعلم.

- أعرف

ويتركه في حيرته واضطرابه ويمضي يقطع أوتاد الخيمة واحدا واحدا.
فتتهاوى على الأرض محدثة طقطة ودويًا.

وينطفئ المصباح المعلق بداخلها.

وعلى أضواء المصابيح المرتفعة بأيدي الرجال هنا وهناك تبدو العروس
متكومة تحت الخيمة السوداء كبعض المتاع.

ينظر القوم إلى ذلك المشهد المؤثر بأحاسيس متباينة. ويبدأ الهمس بينهم.

ويختفي العريس ليظهر مكانه والد العروس الذي مضى يشق طريقه بين
جموع الحاضرين، مرفوع الهامة، ثابت الخطى، قد أمسك بندقيته بيديه. على
قيد خطوات من ابنته المتوارية تحت الخيمة المتداعية توقف عن السير وصوب
بندقيته تجاه قلدة كبدته وقد أظلم في عينيه كل شيء، وساد سكون موحش رهيب.
ثم ضغط على الزناد مرة أولى وثانية.

ويختلج الجسد الغض في ارتعاشة أخيرة، ثم يسقط على الأرض.

وترتفع في الفضاء صيحة أم مكلومة فيزداد الليل ظلمة، ووحشة وكآبة.

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

الحلقة الثانية والأخيرة

: تجاوز الواقع بواسطة

الفن

ثالثا

يعتبر نصّ (رسالة الى غريب)
ص 16 النواة المولدة لكامل المجموعة لانه
شكل بيان الكتابة في نزولها وحيا على
الكاتبة على هيئة حبيب يحرك قلمها للكتابة
ويسمي «وعبها المغبر» ويزيل الغشاوة عن
عينها فيشفي غليلها الى الإنعتاق :

البحث عن الخلاص

«حين جمدت أصابعي على القلم ... فلم يتحرك
وتصلبت شرايبي
وكفّت عروقي عن النبض
أدهشني حضورك الصاعق في ضباب وعيي

حين جمدت أصابعي على القلم
وأبى أن يركض يشفي غليل أوراقي الى مداده
وغليلي الى الانعتاق من أطنان الرصاص
التي تملأ رأسي ومدينتي والعالم
وقتها هاجمتني ذكراك

يهزني الشوق حتى يرتعش قلبي
ويتفجر بالحياة

.....
فإليّ يا رجلاً شهدت شمس الصحراء

.....
وقلمي لم يقدر على الركض إلّا في طريقك

.....
يا من ومض برقّه في وعيي المغيّر !

فأضاء أوراقِي

وتحرّك قلمي راكضاً في طريقك »

«رسالة الى غريب : تعال نتطهّر حباً » ص 16

وتقول في رسالة بعنوان «اعتراف» ص 7

« يا جنونا عذبا سكنني وأسدل عليّ الستار

.....
تكسر الابواب لتدخل غصبا عن كل الحراس

ARCHIVE
http://Archivebaa.akhnet.com

وتبعث الرعشة المباركة في قلمي

فتنهمر معك كل ألوان الخلق الجديد لكياني

ثم أطوي صفحاتي ولا تدري !»

إن كتابة «رعشة مباركة» تصيب القلم فينشأ عنها الخلق الفنّي ويتشكّل

نصاً جديداً. انها عملية ولادة عسيرة شبيهة بنزول الوحي تأتي على هيئة عاصفة

يرتعش لها الكاتب ثم ترحل عنه ولكنها قبل أن تفعل تغلق أجفانه وتذرّه بأوراقه

وتركه يرتجف كطفل صغير فاجأه المطر أو كطير بلله القطر :

« أن أكتب،

.....
يغسلني فيض المطر

ينظف أدرائي

ويمسح الدم المتخثر على ضفاف جرحي
ويسيل يطفئ لوعة أرضي

.....

أن أكتب،

تأتي العاصفة وترحل
وتتركني مبلة مرتجفة
كطفل صغير وحيد عائد من مدرسته
فاجأه المطر

.....

تأتي العاصفة وترحل
وتتركني مبلة عارية مسجاة على أوراق
ارتجف عرياً ووجدت ورهبة
ولكنها قبل أن تغيب
تقدمني لذراري الرحمة
فتخلق أجفاني
وتدثرني بأوراق
وتهمس لي :

- أيتها الشقية !

يمكنك الآن أن تنامي !

«رسالة اعتراف الى قلبي أن أكتب» ص 30

ان هذا النصّ شبيه في صيغه وتعابيره بما كان لاحظته الشابي في
الرسالة الخامسة عشرة من رسائله يقول : « أمّا الشعر فقد لبث نحواً من
عشرين يوماً لا يخفق في نفسي شذوه أو غناؤه ثم أخذتني النوبة وأنا له كاره
فلقّنتني في مثل العاصفة الهوجاء التي لا ترحم ..» ص 9
إنّ الكتابة بهذا المعنى لها صلة بمفهوم الوحي. يقول الاستاذ فؤاد

الفرثوري : « وما حرص هذا الأديب [الرومنطقي] على أن يكون فنه سماويا
جميلا له وشانج قريبي بالوحي الآ رد فعل شرعي على نمط الانتاج للسوق »
ص 10.

هذا التصور للكتابة دفع الكاتبة الى التحليق عاليا كما رأينا فاستحضرا
الصور الميثولوجية وحتى السريالية ولكنه دفعها كذلك الى نوع من التجريد في
التعبير ظهر خاصة في ثلاثة نصوص هي :

- كلمة ثانية الى قلبي ص 31

- رسالة الى مهاجر : حكاية قديمة ص 47

- رسالة الى هارب من النور : شرع قلبك لريح المحبة ص 79..

وفي النص الاول تتكلم عن الحرية تقول :

« تطلع من عمق السجن الحرية

تصعد غيما أبيض الى أعالي السماء

وتمطر ... وتمطر ... وتمطر ..

ضوءا وخصبيا ونماء »

(ص 31)

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وفي النص الثاني تتعرض الكاتبة الى مهاجر غادر وطنه نحو الشمال
وضل ينتقل من أرض الى أرض «يسلمه الرحيل الى الرحيل» و «يدعوه السراب
الى السراب» الى أن أضاع طريقه الى الوطن وقضى نحبه من تعب السفر :

«قام الغريب

ألقي رداءه على صدر أمه

أحرق أوراقه

كسّر مزهره

ومضى ... سحابا مهاجرا

« يسلمه الرحيل الى الرحيل »

تدفعه ريح الشمال

.....

يكسره البرق
ويرميه الى البراري
فيعود يحمل جسمه المتعب
ويسير... ضد اتجاهات الوطن

.....

وحين مزقت الريح خيمة الاوهام
واسقط التعب الجسد
وحمل الغمام كتابه
واتى الخبر
أحرقك أمك أردية نسجتها لك
أحرقك قلبها



وهبت اليك

تحمّل لك منها
بخورا ... وقطر ندى
وخطت على غصنك المنكسر

<http://ArchiveBeta.Sakhi.com>

لتغسل ضلوعك
بدمع العيون
وماء الوطن
وتذرو بخور الصبا
فيصعد منك ... معك
ويمضي ... سحابا

ينوء ... ينوء بدمع المهاجر ..

وفي النصّ الثالث تتحدّث الكاتبة عن الحبّ بطريقة تذكرنا بأدباء المهجر

تقول :

«حين تمرّ مركبة الحبّ في طريقك

وتتمهل قريبك

لا تنتظر ! اركبها

وشرّع قلبك لريح المحبة

.....

حين يعترض طريقك موكب الحبّ

رافعا راياته الحمراء

لا تسدل أجفانك خوفا

لا تنتن هروبا

بل ارفع رأسك وأملأ عينيك من جلال الموكب

وواصل الطريق معه

ليفتح لك الى السماوات دروبا »

هذه النصوص الثلاثة قريبة جداً من الأدب التجريدي ذي النزعة الرومانسية خاصة من حيث الأغراض التي تناولتها وسواء جاءت الكتابة وحيا خالصا أو تجريدا فنيا فقد كانت محاولة لتجاوز الواقع والبحث بواسطة الفن عن الخلاص.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولكن!

هل حققت الكاتبة خلاصها فأعادت الانسجام مع ذاتها ومع العالم الخارجي أم أنّ ذلك بقي في حدود الوهم الى أن استفاقت ذات يوم على مطارق الواقع من جديد ؟

ج - عودة الأزمة وسقوط الحلم

هذه الأشكال الثلاثة لتجاوز الأزمة الوجودية الحلم، والتطيق ، والفن لم تسعف الكاتبة بالخلاص الذي كانت تنشده منها وقد عبرت عن خيبة أملها في نصّ بعنوان : «رسالة الى جسدك الذي كان ملعونا» ص 76 حيث اكتشفت زيف أوهامها وخواء أحلامها فاكتشفت في نفس الوقت جسد حبيبها «الذي كان [قبل ذلك] ملعونا » تقول :

«حين لفظتني المدينة

وأنشب فيها الليل الأسود مخالبه
بعد أن أغلقت الأبواب والنوافذ والمنافذ على أطفالها
وأحرقت معابدها ومكاتبها ومتاحفها
ووجدتني وحيدة وعارية وضائعة
اكتشفت كم كنت مخدوعة

.....

والآن والمدينة الحرياء تنغلق على ألغامها وسجونها
وتطرد أنبياءها وشعراءها ومفكرها
وسهام أسوارها ما زالت تلاحقني
تسقطني من مركب الحلم
تهوي بي إلى صخر الوادي السحيق
فأنكسر إلى ألف قطعة ..
وتخاطب حبيبها الأرضي :
« كم كنت - ليل نهار - أخونك !
أخونك على فراش الغيم السابح في السموات
أخونك على أوراق الكتب الصفراء
أخونك مع أوهام الشعراء

.....

أخونك في سماوات لا تعرفها
أخونك - على فراش سيدي الحلم - حتى وأنا بين يديك

.....

يا جسدي الذي كانه ملعونا دوما
أدعوك لتصهرني بين ذراعيك
وتشعل النار على ضفاف جروحي

.....

فقد تغنى النار بقية أوهامي

.....
لأول مرة يا سيدي

أرفع الرأس اليك

وأدعوك، يا جسدا فحلا شامخا !

تعال !

اخترق كل متاهاتي

.....
واقطع رأسي !

اقطع رأسي ! فقد تصمت أخيرا لذاكرة

وأعرب وقتها معك بكل حرية

وشوق وشبق

في دروب اللذة الملعونة وأنساق »

ان الالتحام بحسب حبيبها يتطلب منها أن تتخلص من ظنونها وأوهامها
أي أن تتخلص من ذاكرتها لذلك هي تطلب من حبيبها أن يقطع رأسها مركز
الذاكرة وعندئذ «ستعرب معه بكل حرية وشوق وشبق في دروب اللذة» كما تقول.

وإذا كانت الكاتبة أثناء صراعها ويحثها عن الخلاص قد وصلت الى حالة
من حالات التسليم بالواقع وهي على كل حال حالة متقدمة عن حالة الوهم
الرومانسي فقد نهضت فيها الذاكرة الثقافية والأخلاقية لتحول دون ما تروم
الوصول اليه مع حبيبها.. هكذا يعود الصراع من جديد لتجد نفسها في نقطة
البداية. يقول الأستاذ فؤاد الفرغوري : إن «هذا التجاوز ما هو في الحقيقة إلا
راحة مؤقتة سرعان ما تسلم البطل الرومنطيقي العربي الى الصراع من جديد
فإذا هو عود على بدء ... » ص 11

ولكن قبل أن يعود الرومنطيقي الى الصراع من جديد تبقى له مهلة يعود
ينظر خلالها الى العالم نظرة جديدة كلها تفاؤل فيتخلص الى حين من مشاعر
الحزن والالم والخوف والوحدة ويلتصق أو هو يجرب الالتصاق بالمجموعة

فيكتشف ما لم يكن يراه فيها من قبل كما فعلت بنت البحر في (رسالة ثانية الى مدينتي) ص 51 حيث تعلق النص مسحة تفاؤلية واضحة تذكرنا بقصيدة الشابي «الصباح الجديد» :

«نكاد لا نصدق !

مدينتي الحبيبة !

الفجر الغائب من سنين كالدهور يأتيك !

ورديا يطلع من خلف البحر !

لطيفا جليلا ورائعا،

يمد ذراعيه اليك

.....

يرشك الضوء القادم

وموج البحر

وها أنت أخيرا تستيقظين !

وها هو البحر يرقص حولك متلألئا



.....

أخيرا يا مدينتي !

يمكن أن أتيك !

وأركب سفنك

فانزعي منامتك

.... النهار طلع !

والريح مواتية

فارفعي شراع المستقبل ..

وشتان بين احتفائها بالنهار في هذه القطعة وتشاؤمها منه في نصوصها

السابقة.

ثالثا : الشكل الغني للمجموعة

بدأت الكاتبة مجموعتها (رسائل لا يحملها البريد) بـ «رسائل الى مشرق الشمس» موجهة الى الحبيب وأنهتها بـ «رسائل الى العالم الآخر» في رثاء والدها مما يسمح لنا أن نستنتج أن المجموعة تسير في حركة انحدار من عالم الشمس دليلا على الحياة الى عالم لغيب دليلا على الموت وتقودنا عند الكاتبة ان لم نقل الى عدم الايمان بالحياة .

وفعلا فنحن نسجل في المجموعة هروب الكاتبة الى زمان غير زماننا هو زمان الحلم في السماء السرمدة والجنة الضائعة انه بشكل ما انفلات من لزمان الأرضي المتلبس بالتعاسة :

«وأرمني الأرض وراثي»

..... وحين أرحل عنها الى عالمي الساحر بك

أغلق عليك بحرص وخوف أبواب الجنة»

(ص 14)

إن الزمن هنا حركة عمودية من الأرض إلى السماء ومن السماء الى

الأرض :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

«وحين يطلع النهار

أنزل ألبس كفني وأقنعتني»

(ص 14)

انه بكلمة مختصرة الزمن الميثيولوجي السابح في الا نهايات على أن الكاتبة من جهة أخرى زمنها النفسي فالليل بالنسبة اليها هو زمن الظلمة والموت تقول في (رسالة الى طفلة الأمس) ص 72 :

«جرف الليل المدينة

وجرفني الى قاعه

وقيدني بسلاسل الصمت

يزور، الموت
وغاص في أعماق كهفه
حتى لا يدركني خيط الفجر
واستبد بي في الظلمة الفاجرة
يطلب اغتصابي
يأكل أغصاني ويمتص دمي

.....
وها أنا ذي أمتد على أخشاب نابولي «
والليل هو كذلك زمن لحزن. تقول في (رسالة الى الليل) ص 66
« وحدي أحزن
يملؤني لحزن يشريني



.....
وحدي أنتظرك باليل

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فتمدد بظلمتك وحشيتك فوقني
واترك أصابعك السوداء تغوص في أضلعي».

كما أن الليل هو أيضا زمن الخوف :

« وحدي
يتسلقني الخوف
يدب راكضا صاعدا يطوق حنجرتي
يخنقني.

.....
وحدي. أنتظرك يا ليل «

(ص 68)

ليس الزمن الميثولوجي الذي تعرضنا له قبل قليل لآ هروبا من هذا الزمن
النفسي المقيت الذي يقطر تشاؤما بينما تسبح الكاتبة في الزمن الاول وسط

الاجواء العالية في حالة غيبوبة مطلقة مطلقة الواقع وهي حالة من التمزق لا نظير لها

أما في مستوى المكان فقد لفت انتباهنا احساس الكاتبة بالحصار احساسا عميقا. تقول في (رسالة الى دمعة) ص 37 :
« والصباح يسلط أضواءه
فسد طعم كل الاشياء
.....

واذا هو الحصار !

فأين المفر ؟ ! »

وكم عبّرت الكاتبة عن معاني القيد والسجن سواء في هذه المجموعة أو في مجموعتها القصصية (الطفلة انتحرت) تقول في (رسالة الى رجل يريدني دوما) ص 69 :

« وهما أنا حواء » الحرة »

محبوسة في قفص الجنّي منذ الأزل

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يأكل ليلي نهاري القصير القصير

ويختنقني الليل، والحبل يدمي يدي

ويدمي فؤادي

ويذبح عمري

كل يوم من الوريد الى الوريد »

وما أكثر هذه الشواهد في المجموعة التي يبدو فيها الحصار وكأنه حصار انطولوجي لذلك نجد الكاتبة في توق الى مغادرة المكان الذي يكبلها نحو الفضاء الأرحب بلا سلاسل أو قيود :

« قد صدّنت وانكسرت سلسلة الحديد

التي ربطتني بتراب »

(ص 26)

وعلى هذا النحو كانت الصور الميثولوجية والسريالية التي تطفح بها
المجموعة نشطة ممثلة بالحياة والمشاعر الدافقة مما يجعلها صورا وهمية لا
تحاكي عالم الواقع وانما تستعيضه بواسطة الكتابة بأخر أشد تألقا وبهجة
واحتفاء :

«ما عدت امرأة مكسورة تحت آلاف المشاكل

ما عدت امرأة محنطة القلب

ناقمة على كل الرجال

ما عاد جسدي ثقال تلج

ولا الليل قبر أيام الاتعاب

.....
يأتيني الليل

وفي وحدثني

أسرع افتح لك أبواب ليلي

وأسكت ألمي

وأضيء لك أنوار السرية الملوثة

وأعلق لك أجمل زينات الأعياد

وأعود طفلة تتعري من كل أردية المجاملات والنفاق »

(ص 20-21)

لكن هذه الصور الميثولوجية وكذلك السريالية العجيبة (رسالة الى الموج
مثلا) والصور الحسية للموت وصور الأشباح الكنيبة كالخوف والحزن قد شكلت
جميعها عالما باطنيا يكتنفه الغموض والاحساس باليأس وانسداد الأفق وقد
وصلت هذه الحالة الى درجة الهستيريا في نصين على الأقل : الاول (رسالة الى
الموج) لمغالاة الكاتبة في الصورة السريالية والثاني (رسالة الى الليل) لاشاعته
جوا من النياحة والكتابة ترجمته عبارة «وحدثني» التي تتكرر عدة مرّات.

هذا العالم الذي حاولت أن تشكّله بنت البحر من خلال (رسائل لا يحملها البريد) وأن بدت فيه واضحة «مسحة الغضب والسخط والتبؤم» كما يقول الأستاذ المطوي إلا أنه جاء مقطوع الصلة بالواقع بسبب الخيال المجنّح الذي غرقت فيه صور المجموعة.

على أن هذه الصور بالذات جاءت متدفقة بمشاعر الكاتبة التي عبرت عنها في لغة تصويرية قائمة على التشخيص كستها العبارة السهلة البسيطة والهبها الخيال المجنّح التابع من الوجدان.

وقد ظهر هذا الدفق الشعري خاصة في استعمال أساليب الإنشاء كالامر والنداء والاستفهام والتعجب والتمني واستعمال ضمير المتكلم ممّا زاد في تنمية الوظيفة الانفعالية للمجموعة.

أنّ ما يمكن قوله في خاتمة هذا العرض اننا لا نستطيع أن نحدّد بالضبط إلى من هي موجهة هذه «الرسائل» سوى أنها «رسائل» من الكاتبة واليها «تدق بها بنت البحر الباب مباشرة فتجوس مداخل النفس والمشاعر دون وساطة على حدّ تعبير الأستاذ محمد العروسي المطوي.

الخاتمة :

وبعد، ما سبب هذه الرومانسية الهزلية <http://Archive.org>

لعلها - في نظرنا - تعبير عن خيبة جيل كامل وخبية المرأة على وجه الخصوص التي اكتشفت أن أحلامها كانت سرايا هباء فانكفأت على نفسها وراحت تقلّب نظرها في السماء بحثاً عن الخلاص.

مصطفى الشريف

مراجع البحث

- 1 - فؤاد الفرغوري : أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث / الدار العربية للكتاب 1988 ص 218 وما بعدها.
- 2 - محمد صالح الجابري : دراسات في الأدب التونسي. الدار العربية للكتاب 1978 ص 257 وما بعدها.
- 3 - المرجع السابق ص 259.
- 4 - أبو زيان السعدي - في الأدب التونسي المعاصر - الشركة التونسية للتوزيع - 1982 ص 47.
- 5 - المرجع السابق ص 53.
- 6 - سورة البقرة ، الآية 24.
- 7 - عبد الله صولة : شعرية الكلمات وشعرية الأشياء في ديوان «أغاني الحياة من خلال» صلوان في هيكل الحب » (دراسة دلالية) ضمن «دراسات في الشعرية / الشابي نموذجاً» اعداد مجموعة من الاساتذة - بين الحكمة - تونس 1988 ص 388.
- 8 - فؤاد الفرغوري - المرجع السابق ص 151.
- 9 - انظر رسائل الشابي - اعداد محمد الطيوي ط 1 جانفي 1966 ص 76.
- 11 - فؤاد الفرغوري - المرجع السابق ص 239.
- 12 - فؤاد الفرغوري - المرجع السابق ص 237.

•A la limite des genres traditionnels, au carrefour des sentiers de la création littéraire...•

Jean Fontaine.

جلول عزونة

I تقديم :

لقد

كتب الكثير حول الأجناس الأدبية وتطور مقوماتها ودور المدارس الأدبية في بلورتها واعطائها أهم خصائصها وكذلك حول تطور المجتمعات والعقليات ومدى تأثير ذلك على جنس أدبي معين ويرهزه وطفغيانه في فترات ما ثم تلاشيها...وقد تبلورت عديد المدارس النقدية، قديمها وحديثها، شرقيها وغربيها

رواية جركات
لمصطفى الفارسي
والتبشير بحمد
جديد للأدب

انطلاقا من الأجناس الأدبية، وانتظمت قواعد النقد في تلك المدارس حسب معطيات كل جنس أدبي، يوحى من شكل الجنس الأدبي وهيكله وبنائه وكذلك من خصائصه و مميزاته وما يشيره في النفس من أحاسيس ورؤى... حتى كان النصف الثاني من القرن العشرين فأعيد النظر في كثير من المفاهيم الأدبية والنقدية انطلاقا من الاكتشافات الجديدة والمتعددة في كافة فروع العلوم الانسانية وكذلك لما للرسم ومدارسه الثرية من تأثير مباشر في فن الكتابة وضرورة تجاوز السائد والبحث المتواصل في تخوم الضال والممكن. وظهرت في الغرب طرق جديدة في الكتابة حطمت الحدود بين الأجناس وظهرت في النقد نظريات جديدة لمحاولة فهم وتقديم هذه الانماط الجديدة من الكتابة (1).

ولم تظهر في وطننا العربي محاولات هذه الكتابة الجديدة المتجاوزة الآ في السنوات الاخيرة - وهي الى الآن كتابة محدودة من حيث الكم وكذلك من حيث الشهرة والتأثير - ومرجع ذلك طغيان العقلية المحافظة والركون الى الانماط

(1) ظهرت بوادر هذه الكتابة الجديدة منذ أواخر القرن التاسع عشر وأذكر هنا مثلا وجيدا من فرنسا وهو الاثر الفريد لـ Lautréamont = Les chants de Maldoror وهو شعر فني ثري فيه من الرمز والفانستيك والسرالية (قبل ظهور المدرسة السرالية بنصف قرن) الشيء الكثير.

المعارفة والمألوفة وخوف مراجعة النفس وطفيان المثال السلفي والرّهبة من ارتياد المجهول.

وفي تونس يمكن اعتبار ظهور «رواية» حركات لمصطفى الفارسي، منطلقا لنوع جديد من الكتابة يتجاوز المعبود شكلا ومضمونا رغم أنّ الفارسي نفسه لم يواصل التجربة ورغم أنّ المثال الاعلى الذي قدّمه لم يستهو بعد - على حسب علمنا - غيره فيسير في نفس التوجّه العام...

(II) حركات كتابة جديدة متجاوزة :

1 - ملاحظات أولية

ظهرت حركات في ماي 1978 عن الدّار التونسية للنشر في 128 صفحة من الحجم المتوسط. مع رسم على الغلاف للفرجي ورسوم داخلية للصادق الماجري (وتقديم لاحمد القديدي). ولا بد هنا من تسجيل بعض الملاحظات الأولية قبل الشّروع في دراسة الاثر :

أ - ظهرت حركات بعض الاشهر بعد الحوادث الدّامية لـ 26 جانفي 1978 والتي شهدت تصادما بين النظام الحاكم والاتحاد العام التونسي للشغل وفي فترة من القمع والحاكمات السياسية التي لا عهد للبلاذ بها، وقد رأّت السلطة أنّ هذا الكتاب، بما فيه من اسقاطات وإشارات وتلميحات وتصريحات إنّما هو ينقد الحكّام في تونس بشكل مباشر وخطير فصادرت من المطبعة ولم ينزل الى السّوق بثاتا ولم يتحصّل كاتبه ولو على نسخة منه الا بعد مضيّ حوالي عشر سنوات، وكنا نعثّر على بعض النسخ عند باعة الكتب القديمة التي تسرّبت اليهم عبر طرق ملتوية، وقد اجتمع في ذلك التاريخ الحاكم وقرّر مصادرة الكتاب : ولعلّ هذا ما يفسّر الى اليوم قلة الدّراسات والمقالات عن هذا وقد كتب تقرير الحجز مصطفى المصمودي.

ب - إنّ مسودة بحثنا هذا كتبناها في صائفة 1988 وكان من المفروض التقدّم بها ضمن أعمال ندوة صفاقس : الادب العربي المعاصر في تونس : بين الابداع والتلقّي (15 - 17 جويلية 1988) ولكنّ هذا البحث أرجيء وقدّمت عندئذ تعريفا وتقدّما للادب مصطفى الفارسي الذي قرّرت الندوة تكريمه في مسقط

رأسه - ولم أكن أطلعت بعد على ما كتبه زميلي وصديقي محمود طرشونة حول حركات، واليوم وقد رجعت لمسودتي وقرأت ما كتبه طرشونة وما كتبه غيره وهو قليل وعبارة عن انطباعات سريعة فإني أجد نفسي ألتقي في الأساس مع طرشونة وربما أضفت بعض الأشياء وتعمقت في بعض الأفكار وعدلت بعض الأحكام.

ج - إن بحثنا لا يمكنه أن يدعي إعطاء حركات ما تستحق من دراسة ولذلك لا بد أن نشير إلى أن هذا الكتاب يجب أن يؤخذ بجد وفي نطاق بحث أوسع وفي إطار أكاديمي حتى ننزل هذا الأثر المنزلة التي هو أهل لها ضمن العمل الإبداعي التونسي والعربي.

2 - مراجع حول حركات :

أ - محمود طرشونة : مقومات قراءة شمولية للادب العربي :

حركات نموذجاً ضمن كتابه : مباحث في الادب التونسي المعاصر.

المطابع الموحدة. 1989 من ص 63 إلى ص 83 (2)

ب - جان فنتوان Aspects de la littérature tunisienne من سنة 1975 إلى سنة 1983 صفحتي 56 و 57 <http://Archivebeta.Sakl>

ج - مختارات من الادب التونسي المعاصر - الجزء الثاني - الدار التونسية للنشر 1985 من ص 221 إلى ص 229 مختارات من باب الميم وباب الواو مع تقديم موجز لتوفيق بكار.

د - لقاء مع مصطفى الفارسي، نظمه المركز الثقافي لمدينة تونس أوائل فيفري 1987 ونشطه كل من توفيق بكار والمنجي الشملي وفيه تعرض الشملي لحركات انظر مقال حسن بن عثمان بجريدة الرأي (13 - 2 - 1987) مقال أبي زيان السعدي بالصباح ومحمد بن رجب بالصباح - فيفري 37.

(2) شارك طرشونة بهذا البحث ضمن أعمال الندوة التي انعقدت بكلية الآداب والعلوم الانسانية من 30 مارس إلى 2 أبريل 1982 بتونس تحت عنوان : القراءة والكتابة ونشرتها المطبعة الرسمية سنة 88 مع أعمال الندوة (من ص 37 إلى ص 64) - وقد ألقى طرشونة كذلك بحثاً باليمن ضمن أعمال مؤتمر الادباء العرب سنة 1984.

هـ - برنامج مؤنسات التلفزيون الذي يعدّه مصطفى عطية - حلقة 27
جولية 1983 وفيه تحدث مع الفارسي عن حركات (الكتاب) المقال الصادر بجريدة
La Presse-Soir بنفس التاريخ ص 17.

ذلك هو كلّ ما عثرنا عليه حول حركات - وهو قليل ولا يسمّن من جوع ولا
يتجاوز بعض الملاحظات السريعة اذا استثنينا دراسة طرشونة.

3 - حركات : جنس أدبي جديد :

انّ كتابنا هذا وان اتّخذ شكل رواية وصنّفه النقاد الى الآن ضمن هذا
الجنس (3) فإنّ المتعمّن فيه لا بدّ وأن يشعر بنوع من التملّل، اذ يجد فيه
القارئ مستويات عدّة شكّتنا من تصنيفه ضمن أجناس أدبية مختلفة. فبعض
فصوله تنحو منحى القرآن وموسيقاه وإيقاعاته حتّى كأنّها تقليد لآياته وبعضها
ينحو منحى الاحاديث النبوية وبعضها يقلّد الادب العربي القديم في سجعته
وتصنّعه، بينما تقتصر فصول أخرى على المونولوج والحوار المباشر وكأنّها
فصول مسرحية بحتة - والاحالات المسرحيّة هنا واضحة وبشكل مكشوف
وبالخصوص لمسرحيّة ماكس فريش : سور الصين والتي سكنت عقل الفارسي
ردحا طويلا من الزمن (4) واستغلّها هنا بأحداثها وشخصياتها ضمن المسار
العام لحركات. فقد اقتبس الفارسي جملا كاملة ومشاهد بأسرها من سور
الصين من ذلك مثلا للوحتين الخامسة والتاسعة من المرحلة الاولى، وهذا بهم
الاخرس واستنطاقه واللوحه الثامنة عشر من المرحلة الثانية (5).

وإذن وعبر فصول حركات، قد لا نشعر أحيانا كثيرة إلا بتقنيات المسرح
وطريقة كتابته.

وبعض فصول الكتاب، بطغيان اللغة الدارجة - والتي لم يستعملها
الفارسي، - في كلّ آثاره إلا في كتابه هذا - وروج السحر والتفكير الخرافي
الساذج لبعض الشخصيات، تذكّرنا بالخرافات والادب الشعبي.

(3) هذا ما ذهب اليه عمر بن سالم في كتابه الصادر هذه الايام عن بيت الحكمة والذي هو عبارة عن مختارات من
روايات تونسية - وفيه اختيار من حركات.

(4) عربيها الفارسي ونشرها بمجلة فضاءات مسرحية عدد 6/5 - ص 2 - 86 من ص 72 الى ص 119.

(5) هذا الاقتباس وتأثر الفارسي بـماكس فريش يتطلب دراسة متأنية وعميقة.

كما تحيلنا بعض التهويمات اللغوية الى كتب البلاغة والالسنية والى فنّ القراءات، ذلك الفنّ الديني الضروري لمعرفة أصول ترتيل القرآن.

وتذكرنا تقنيات مزج الازمنة وتكثيف حضور الشخصيات والفلاش باك... وتداخل السرد بالحوار وذكريات الطفولة مع مشاغل الكهل المثقف والمسؤول... الى غير ذلك من تقنيات الفنّ الحكائي، بمعرفة الفارسي بأساليب الغرب في هذا الباب في الفنّ القصصي والفنّ السينمائي الذي اشتغل به الفارسي ردحا من الزمن (6) وإذا حركات رواية أو قصة طويلة أو ما شابه ذلك... وبجانب كلّ هذا يحسن الفارسي كتابة النثر الفنيّ ويجعله قريبا جداً من الشعر.

واذن فانه من التعسف القول بأنّ حركات رواية - رغم علمنا بما للرواية اليوم من دور ومقام في الآداب العالمية وما تطمح اليه من محاكاة للواقع بكلّ ثرائه وتناقضاته وما تحاول من تمثّل بما في كلّ الاجناس الادبية من طرق وأساليب.

وقد صنّف محمود طرشونة حركات ضمن المرحلة الثانية أو النوع الثالث من الروايات التونسية أي ضمن ما سمّاه بالرواية الذهنية (7).

ونحن نعتقد أنّ تصنيفاً آخر يمكن تقديمه ويمكن أن يكون أكثر التصاقاً بواقع الكتابة في تونس لاننا نعتقد أنّه فصل بين الشكل والمضمون...

- روايات تقليدية أو كلاسيكية شكلاً وفتناً والمطوي يمثلها (8)...

- روايات كلاسيكية جديدة : المسعدي و«اتباع» طريقته

(6) أنتج الفارسي أوائل الاستقلال شريطاً بعنوان : سلسلة من ذهب كما أدار الشركة التونسية للنتاج السينمائي كما كتب دراسة : القصة في الشريط السينمائي - الفكر عدد خاص من أفريل 1959 من ص 77 الى ص 81.

(7) جاء في العرض الذي قدمه يوم 16 / 7 / 1988 بمقائس ضمن الندوة المذكورة وكان عرضه بعنوان : اتجاهات الرواية بتونس وبعد تحليله لسبب تكاثر الروايات في الاعوام القليلة الماضية صنفها الى ثلاث : رواية وطنية ورواية اجتماعية وواقعية نقدية ويهدم مرحلة انتقالية تمثل نقطة تحول ما بين صنفين من الروايات تضع الفن من اهم مقاصدها نصل الى الصنف الثالث الرواية الذهنية وفيها يضع المسعدي ومدرسته : الحوار والقرى وبوجاه وشعارها اللغة التراثية والاغراق في البحث زايد : موعده عند الاتفاق والفارسي : حركات

(8) المطوي تجاوز تقليدته هذه في اقصوصاته : انظر مثلاً مجموعته : طريق المعصرة.

- روايات جديدة متجاوزة، وكلّ شكل جديد هو رؤية جديدة...

وبالتالي، وإن كان في الامكان وضع حركات ضمن هذه المجموعة الثالثة فإنني أقترح أن لا توضع حركات الآ في الاطار الذي يناسبها وهو اطار غائب في كتابتنا العربية والتونسية المعاصرة وأذن فأنه من الواجب عدم تصنيفها وعدم حشرها واقحامها فيما لا يتناسب وطبيعتها ولتترك بدون ترتيب أو ليفتح لها باب جديد نضعها تحت اسمه وروايته في انتظار مواليد أخرى قد تنحومنحاها.

وحركات اذن تمثل جنسا أدبيا جديدا، أخذ من الاجناس المتعارفة عند النقاد أخذ من جميعها شيئا ما ومزج ما بين كلّ ذلك مزجا يأخذ من ذكريات الكاتب وذكريات أبيه وثقافة الكاتب التقليدية والعصرية الغربية وقدم لنا كوكثلا كله أدب وعمق لأنه قدّم ذات صاحبه وتجربته وتناقضاته وتناقضات واقعه، أحلامه وقصوره، الهامه واحباطاته وآماله... (9).

وإذا حركات زيدة تجربة ابداعية ونتاج حياة كاملة من الكتابة (Une synthèse d'écriture) (10) وإذا نحن بازاء أثر يلخص أجناسا عدّة ويحاول أن يقول أشياء كثيرة، بل كلّ شيء في الآن نفسه وكأفنا ازاء انتاج أول (11).

ورغم تصنيف طرشونة لحركات ضمن الرواية، فأنه في دراسته العميقة والقيمة قد شعر بقصور ذلك ونظر لما أسماه بالنقد الشامل أو القراءة الشمولية مستشهدا بحركات ومطبقات منهجه الذي دعا اليه على حركات وقد استعرض أهم المدارس النقدية وأهم استنتاجاتها وما توصّلت اليه ونقدها ونقد مريديها خصوصا اذا ما طبقوها بنظرة تقديسية أحادية مطلقة مبينا قصورها واقتصر مناهجها على بعض الآثار الادبية أو على بعض النواحي في الآثار الادبية وبين كيف أن حركات لا يمكن لنا نقدها نظرا لتشعب أساليبها وثرانها - أن نفيها حقها مدرسة نقدية واحدة أو نظرية محدودة وأنه لا مفرّ لناقد حركات من

(9) لقد كتب الفارسي حركات - كما حكاها لي - في أيام معدودة لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة وإيايها قليلة، وقد حمز نفسه في مكتبه لا يبرحه وكان في منزلة بين المنزلتين منزلة الوعي ومنزلة الهذيان..

(10) حركات من أعماق ما كتب الفارسي واكمله، فهل تكون حركات الاثر الشاهد عليه... خصوصا وأنّ كاتبنا ما أنتج بعد حركات ما تجاوزها قيمة؟

(11) لا ندري هل الفارسي يعي المتعرج الذي تشقه حركات كآثر أدبي يعسر على التصنيف؟ وإنّ كآثر يبشر عند صاحبه وفي الأدب العربي كلّ بميلاد صنف جديد...

استخدام عديد القراءات واللجوء الى عديد النظريات والتسلّح بالاطّلاع الواسع على مناهج عدد من العلوم الانسانية وهو ما أسماه طرشونة كما قلنا بالقراءة الشمولية.

وشعور طرشونة والذي جسّمه في دراسته، نجد اشارة تشبّيه عند توفيق بكّار في تقديمه لكتاب حركات حين يقول :

« يفجّر (الفارسي) المعاني ويحطم حدود الاشكال وينشيء كتابا «جمعا» ثائرة على قدر تعقد الواقع وضارته». (12) وكذلك عند جان فونتان حين يتحدث عن مهارة الفارسي وحسن صنيعه وتألفه ونجاحه في فنياته وفي تمشي لغته وأسلوبه مع مراحل إبداعه المختلفة في حركات (13).

4 - ألسنية الفارسي : أو «الحرف نقطة الكلام» (ص 24)

لعلّ هذا الجانب في حركات هو أعمقها وأهمّها وبه تمتاز عن غيرها من الادعاءات وهو ما يتطلب بحثا مستقصيا ومنفردا وسنكتفي هنا بالتعرّض ويسرعة الى جوانب هذه الألسنية الأدبية الفريدة من نوعها.

ولعلّ المنطلق هي حروف الهجاء التي تعلّمها الكاتب وتعلّمناها في الكتاب وهو مدخل عالم المعرفة، وهنا، تلتقي الحروف مع ذكريات الطفولة - وهو جانب هامّ في مسار السرد الحكائي في حركات. وفي هذا رجوع الى الجذور الحضارية وإلى الاصول، ولكن الحركات وحروف الهجاء ليست مطيّة عند الفارسي لفتح باب الذكريات، بل ان خيال الكاتب يلعب دورا كبيرا واذا الحروف هنا هي الهدف والمقصد والنهاية وموضوع الاساسي، ورغم السكون فانه «لا

(12) توفيق بكّار - المرجع المذكور.

(13) «La prouesse de Mustapha Fersi qui a su adapter son langage et son style aux différentes étapes de sa démarche». Jean Fontaine, op. cit.

ونحن اراء كتابة جديدة، شكلا ومحتوى، لا بدّ أن نذكر بأن ألف ليلة وليلة ما زجت من قبل - كما يجب الذوق الشعبي الذي صقلته سنون طويلة من الادب والمضارة - بين الاجناس ، فنجد الاشعار والثقافة الدينية والمتعة والفجور والحكم والامثال وقصص الحيوانات والرمز والنفس الملهي والحكايات... الخ مزج يشبه ما نقرّزه الحياة بدون فصل مصطنع بين الاجناس الادبية. يقول المنجي الشملي : «إن حركات نعت خطير وعظيم لم يزل يحطّ من البحث والنقد ولو نشر في خارج تونس لثال استقبالا أدبيا رائعا، فان قلت عن هذا النصّ بأنه أدب فهو أدب وان قلت بأنه فلسفة فهو كذلك ، انه مجموع عجيب وهو كما يقول كاتبه شعوعة فكرية».

سكوت للحروف» (ص 23) وإذا الحروف وتهويمات الخيال منها واليها وفيها هي هيكل الكتاب الاصلي وكلّ ما عداها عضلات ولحم يكسو الهيكل ليس الآ... من هذا جاء عنوان الكتاب، حركات ومن هنا الحركة والفعل والالتزام وكذلك اللغة والهوية والانبثاق والبحث عن الذات في الماضي (الذكريات) واستئناف المستقبل وذكريات الابوين... والنضال والعراقل... وليس من باب الصدفة في شيء أن نذكر هنا بقصيد Rimbaud المعروف (حركات) - Voyelles وفيه يعطي لكل حركة لونا وكلّ لون رمزا...

وإذا بالحركات أفعال وعوالم، وإذا بالحركات تخلق دفعا سحريا قويا فتفتح الافاق والخيال.

أنّ الحرف، اذا كان وحيدا يمكن «أن تنهره سائلا ... أن تقهره يقيما...» (ص 11) ولكنّ «الحروف الموصولة (تصبح) قوّة لا تقهر» (ص 12).

والحروف عوالم بذاتها، لها «القابها وطبائعها وخواصها... ولها أسرار وآثار...» (ص 11) مثلها مثل الطيوع الموسيقية ومالها من علاقة بالنفس البشرية وبالطبائع المختلفة.

أنّ حركات يربّع بنا التي أصل الأشياء، أي التي الحرف، جذر كلّ شيء وكلّ الحضارة، أنّ الحرف من الرموز، وقد فقد معناه من كثرة الاستعمال وضاع سحره وتوهّجه في ذاكرة الشعوب وإذا بالحرف رمز من غير مفهوم في جوهره، ولم يعد إلا مجرد أداة للاستعمال اليومي، فيأتي الفارسي في كتابه هذا ينحو منحى الشعراء شاما، أو منحى الانتروبولوجيين ويطنع في كلّ شيء، وفي كلّ ما يبدو لنا عاديا وحاصلا، ليعرّي الأشياء، ويظهر المخفى والمسكوت عنه، اذا بنا في عوالم جديدة كلها طلاسّم تكشف مدى جهلنا العميق بأبسط الأشياء وأقربها منّا - فاذا الحروف، سنفونية باتم معنى الكلمة وإذا عالم الحرف ليس عالم اللغة، والمعجمية والقراءات وعلم الاصوات وفقه اللغة والاكوستيك (Acoustique)، بل هو عالم أدبي رحب، يفتح على علم النفس وعلى علم الطبّ النفسي وعلى عالم السحر.

وان تحدث الفارسي عن «عبيّة الحروف» (ص 15) فإنّ الحقيقة أنّ تلك

العشبية مظهرية فقط لأنها لا تثبت أن تنهار كلما أمعنا النظر في أسرار الحروف.

وفي حركات شيء من سحر حروف مطالع بعض سور القرآن مثل يس - الم - كهعص - الخ والتي ذهب المفسرون - خلال كل العصور الى تأويلات شتى بشأنها - لم تشف الغليل ولم تترك من المنطق والعقل الآ الشيء القليل، ولن نستطيع لأنها تحتل موقعا هامشيا في تخوم العقل ولأنها أقرب الى الآوعي أو الوعي الجماعي منها الى عالم المعادلات والموازين والمكايل. ونحن نعلم أن لا صدفة (Hasard) (الم تصبح ص 23 و 50...) ... والفارسي اذن في حركات يوغل بالادب في متاهات جديدة وفضاءات ما وراء العقل والحس (14) فيذكرنا بالادب السريالي وأدب جيرار دي نرفال (15) وهذا الادب لا نجد له مثيلا في ادابنا العربية الا في بعض ما كتبه جبران خليل جبران الذي استلهم فيما استلهم الكاتب الالماني نيتشه وكتابه : هكذا تكلم زرادشت وذلك بالخصوص في كتابه النبي.

فالحرف يصبح عند الفارسي أخطر ما في الوجود، يسطر حياة البشر ويمثل في آخر المطاف القدر ذاته : مجرد عثرة لسان... مجرد ... زلة قلم » ويتغير حرف من مكانة أو يعوض حرفا آخر فيتغير المعنى تماما ويتغير المصير. فهذا القحطور، أحد أبطال حركات يصبح مدمنا على الخمر لأن رئيسه المباشر في الجندية ينسى حرفا وحيدا ، حركة = voyelle (e) وعوض أن يكتب في تقريره عنه : il boite = كتب !! (ص 17) فبمجرد تغيير في حرف وحيد، يمكن لعالم كله أن يتغير

وأمام هذه القدسية للحرف لا يمكن لبطل حركات أن يكون بليغا، مفوها وان بدا مهذرا، يقاطع غيره باستمرار ولكن يتمتع وله مشاكل لغوية عويصة، لا

14) أن الكاتب الفرنسي صاحب كتاب Le livre ? (كتاب) Guillotat (انظر هنا العلاقة المعنوية بين هذا العنوان وعنوان الكتاب المقدس : La Bible = الكتاب) قد قدم لنا نموذجا لما يمكن أن تصل اليه الكتابة من انغلاق ظاهري يصل حد الصمت والفرس واليكم والتوقف اذن عن الكتابة لأنها فقد معناها الظاهري ودورها المعبود لتكتفي بجعل لا معنى لها، غايته مرتبة الجملة و موسيقاها وصداها وما يمكن أن توحى به لكل قارئ على حدة حسب استعداد وثقافته ومشاكله الذاتية.

15) اذكر هنا لاضرى برون Nadja et L'Amour fou : André breton

وكتاب Aurélia = Gérard de Nerval

دواء لها : «ننصت إليه علنا نجد في كلامه حكمة أو نصيحة فلا نسمعه يقول إلا كلاما مكبورا وقولا مبتورا... يبدأ الجملة ولا يتمها... تبقى النهاية عالقة بحلقه... ومنتظر... ومنتظر... ويشعر في كلام جديد... ونعود للاصغاء اليه... فلا نظفر كالعادة بطائل... (ص 19) فاللغة لا تفي بمقصود قحطور، هو شاعر بعمق بهذه المأساة الخطيرة، فهو شاما مثل الكاتب، يحاول يائسا ابلاغ صوته ورسالته ولكنه يعرف أن ذلك لا فائدة منه ولا طائل من وراءه : « دعك منه قلت لك... » لأن العالم لا يسمع وله مشاكله الخاصة به ولأن اللغة قاصرة عن بلوغ كنه الاشياء وعن أن تطول عالما بتسامه يعتمل داخل الكيان (16).

وحركات تطمح الى قلب نظام الحروف، الى جعل اللغة العربية مثلا لغة ثورية ويكفي في منظومة حروف الفارسي أن نغير مواضع الحروف لأن اللغة فقدت عذريتها الاولى، طاقاتها فصارت قوالب جامدة محفوظة لا تسير الواقع وأضاعت كل شحنتها الاولى : « لو وضع كل حرف من حروف أبجد في موضعه... لكانت العربية لغة ثورية، (ص 27) ولكن الفارسي وهو يدعو لثورة الحروف وثورة اللغة، لا يصل الى عبثية Guillotat ولا الى مثالية بطل Camus الشكلية، فالثورة اللغوية لها هدف مباشر وهو قهر الجوع والالم وليست ثورة شكلية بحته ليست ثورة من أجل الثورة فاذا ما تحول الميم (اليف. لام. ميم) القرآني الى ألم ودموع، فإن نشيد الاحرف الهجائية له غاية ملموسة وهو التنديد بالجوع « لم يكن يشعر قبل اليوم بالجوع هذا الشعور المادي الحي (ص 32) وقحطور بطل معركة كاسينو في ايطاليا زمن الحرب العالمية الثانية - مثله مثل صديقه المرصولوجي الاحمر بطل معركة أنوال بالريف المغربي التي شارك فيها أبو مصطفى الفارسي - لم يكن من البطولة إلا ساقا خشبية وكيسا من أكياس فارينة أمريكا يحمله دائما على ظهره، والجوع والميزيريا...

فتورة الحرف ليست ترفا أو متعة فكرية لعالم لغة، بل ثورة الحروف هنا عزف على لحن الجوع وغناء في جوهر الحياة ونقمة على مسخ الاشياء والمثل، بل نحن ازاء ثورة على الحروف نفسها وضرورة تغيير مواقعها ولكن هذه الثورة

(16) يذكرنا هذا ببطل Camus في روايته : La Peste حيث يترك مخطوما بعد وفاته وهو عبارة عن بعض مئات الصفحات ولكنها لا تتجاوز جملة أو (فقرة) وحيدة قضى حياته يمسينها ويعيد صياغتها الى ما لا نهاية له....

تأخذ في حركات واقعية أربعة : ثورة ضدّ الجوع والاستعمار والحاكم المتسلط (التعذيب) والرقابة. وإذا ثورة الحروف هي ثورة الحرية. (انظر باب العين ص 36 وما بعدها وبالاخصّص كامل باب الالف أو الجوع كافر بالله ص 51 وما بعدها وهذا الباب عبارة عن نشيد حقيقي ضدّ كلّ شكل من أشكال الدكترة (17).

وهكذا فإنّ هذا الفنّ اللغوي الفارسي وإن بدا فيه بعض التلاعب بالالفاظ وبعض الحذقة والاصطناع (Snobisme) فإنّه ينمّ بجانب هذا عن ثقافة عربية نحويّة وبلاغية متينة وثقافة عامّة لا بأس بها والاهمّ - كما رأينا - هو أنّ الفارسي لا ينفلق على نفسه داخل هذا الاطار الشكلي المتكلّف نوعاً ما، وكيف يمكن ذلك والفارسي يدعو الى الثورة والتجديد ؟ بل سرعان ما يربط الحرف وسرّه وطبعه بمشاكل الواقع أي مشاكل التخلف في كلّ المستويات السياسية والثقافية...

ولعلّ هذا هو سرّ استعمال الفارسي - ولأوّل مرّة حسب علمنا - اللغة الدارجة في أثر من اثاره الهامة - وهذه ثورة أخرى، يلجأ اللغة أبناء الشعب يشحن بها نصه ويفتقّ بها المفاهيم ويلجّ تخوما قلماً دخلت معامعها اللغة العربية في عصرنا الحالي - من ذلك تلك الخصومة (العركة) بين فحطور وزوجته فحطورة (ص 52 وما بعدها) (18) (مع استعمال الفارسي في مواضع كثيرة للامثال الشعبية...) وإذا ثورة اللغة - في كلّ مستوياتها - تلثقي عبر هذه اللغة اليومية الفائرة مع ما ساء الجوع الكافر المتمثل في انسحاب فحطور - بطل الحروب وحفيد الثائرين ضدّ جور البايات - انسحابه من منزله بكلّ ألم، يللم رجله الخشبية، تاركاً زوجته لعشيقها، نظراً لعقره وعجزه الجنسي من ناحية ونظراً لاحتياجه للمال ليلة العيد تلك، يترك منزله وزوجته ويهرب يستتر عاره «في مقهى الاحرار...» (ص 58).

(17) في هذا الباب التاجج جداً جمع الفارسي فكرة حبّ الوطن ومقاومة الاستعمار المباشر والجديد والتطرق لعلاقة الحاكم بالمواطن وعلاقة المثقف والسلطة في اطار نظرة عصرية للثرات وطرح جديد لالتقاء الحضارات، كلّ هذا مع نفس تقدّمي ظاهر.

(18) هنا لا يدّ من الاشارة الى ما في هذه الخصومة من ملح وتلميحات جنسية غاية في الطرافة وفيها ما يذكرها بمأساة بطل الفيلم الياباني الشهير : L'Empire des feus (امبراطورية الحواس)، ويبدو الفارسي صورا جديدة تمام الجودة.

ان احتضار هذا «البطل» وانحداره الى هذا المستوى يترك فينا الالم واذا بنا ازاء حثالة من حثالات المجتمع - ولكن يبقى فحطور مع هذا يرمز الى الامل في أن يتغير شيء ما (19) وان كان عن طريق الدم والجنون...
 «انتظرت حياة كاملة ومازلت أنتظر... أنتظر شيئاً ما سيحدث لا محالة... الزلزال؟ الطوفان؟ لست أدري ماذا أنتظر... لكنه سيحدث دون ريب... أنتظر... استشرف الأفاق... أتنبأ...» (ص 20 و 21).
 ويخصّص الفارسي الجزء الاخير (الابواب الاربعة الاخيرة) من حركات في هذا الاتجاه : رفض الذلّ والتبشير بالثورة :
 «لن نسكت على الضيم بعد اليوم» (ص 109)
 «الثورة على الظلم حق... والحق في حناجرنا» (ص 110).

III خاصة :

لقد تعرّض زميلي محمود طرشونة - مثلاً ذكرت ذلك - الى عديد المظاهر المهمة والمشاكل والاشكاليات التي تثيرها حركات وان كان أكثرها يستحق الرجوع اليه والتعميق فيه مثلاً نج بذلك طرشونة نفسه، ولكنني أردت في هذا البحث أن ألقت النظر الى قيمة هذا الأثر الادبي العربي التوتسي الذي لم يعرف بعد الانتشار - نظراً لمصادره ¹¹⁹ ولا الضمير والتقدير اللذين هو أهل لهما، ولا على أنه نوع من الكتابة الجديدة في وطننا العربي، يستلهم عديد الاجناس الادبية ويتجاوزها في بحث عن قالب جديد قد نسميه كما ذهب لذلك توفيق بكار «الكتابة الجمع» أو الكوكتال الادبي على طريقة ألف ليلة وليلة (الادب الشامل اقتباساً من تسمية طرشونة : النقد الشمولي... (درس حركات أخيراً ضمن برنامج مناظرة التبريز عربية) ولعل كتاباً آخرين يأخذون نفس الطريقة ويتحفونها بانتاجات أخرى على نفس المنهج لأن الفصل المصطنع بين الاجناس قد ولى عهده بعد أو هو في طريق المراجعة وذلك لما شهده آخر القرن العشرين هذا من اختراعات لعل أكثرها خطراً هي الاعلامية التي حكمت على كل الميادين

119 «L'agonie humaine est d'abord un acte d'Amour» Bernanos (Journal d'un Curé de campagne)

نتهي قصة فحطور وشحطور بلوحة فانستشيكية مرعباً إذ يقاد زوجته بالساطور في ليلة عيد الاضحى وقد حرم اللحم للقرء، فيتأثر الدم أسود السيرك الذي عرفه في طفولته ودماء موتى معارك الحرب وذكرى فقدان رجولته وكرامته، يقدها ويحملها لحماً مقطعا في كيس الماريكان (ص 64 و 65).

بالمراجعة - ولعلّ تعمّش مواطن آخر القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين الى الثقافة الدسمة والعميقة والسريعة في الآن نفسه ممّا سيفرض بزوغ نجم جنس أدبي جديد شامل يمثل خلاصة تجارب الادباء على مرّ العصور(20).

IV - مراجع تكميلية عن الفارسي :

أحاديث أجريت معه :

- لقاء معه يوم 2 أوت 1987 بصفاقس ضمن أعمال ندوة الادب العربي المعاصر في تونس بين الابداع والتلقي - (ملخص مخطوط عندي) (21).

- حديث أجراه له محمد بن رجب ونشر بجريدة المدينة السعودية بتاريخ 11 ذو القعدة 1404 هـ .

- مع مصطفى الفارسي - بدون تكلف- الصباح : 1 / 3 / 1986 ص 9.

- في داخل بيت مصطفى الفارسي : تحقيق آمال بن مختار - مجلة الاذاعة والتلفزة التونسية عدد 691 - 6 مارس 1988 - من ص 25 الى ص 28.

- استجواب - جريدة بلادي عدد 131 - 2 - 9 جانفي 1977.

- استجواب - جريدة العمل - 23 أوت 1971.

- استجواب - جريدة L'Action 26 أوت 1972.

- استجواب - مجلة Dialogue ع 196 - 3 جوان 1978 (22).

انظر كذلك مقال لابي زيّان السعدي : حركات : من أدب الرواية في تونس الشركة التونسية للتوزيع - تونس - 1988. (6 صفحات).

20) الجانب المهمّ الآخر في حركات هو الجانب النقوي الالسنّي - وهذا ليس غريبا على الفارسي الذي أحسّ من قرب طغيان الالسنية على الدراسات طوال العشريّتين الماضيتين.

- نلاحظ هنا كذلك مزوف الناقد التلفزيوني الادبي النجم Bernard Pivot والذي انسحب من عمله لانه شعر بعد سنوات عديدة أنّ لم يعد يرغب في معالعة الروايات... وهذه شهادة أنّ عصر طغيان الرواية قد ولى - في الغرب على أقلّ تقدير، وبالتالي فانه لا بدّ من ميلاد جنس أدبي جديد يأخذ مكانها ومكانتها...

- هناك جوانب مهمة عديدة يمكن الحديث فيها في حركات : الاطار الزمني والمكاني وهيكل هذا الاثر ودور الرمز عند الفارسي وبالمخصوص علاقة المثقف بالسلطة وتجربة الفارسي في هذا المجال الخ...

21) وممّا قاله : « اكتب وأنا في شبه جنون أو سكر أو مرض عسّال... كلّ ما كتبتّه كنت في حالة غير طبيعية، أنفصل عن منزلي وعن الاكل والشرب... » و « الكاتب مبهول، مجنون، يكتب وهو على اعصابه... »

22) أنّ الاستجوابات مهمة رغم ما فيها من تقليد ومبالغة وتشبيل أحيانا ولكنها مع هذا تسمح بسبر افوار الكاتب وتلقي أضواء هامة عن ظروف الكتابة ومعاناتها.

علي بن مصطفى

محطات

لامعة من حياة إنسان بين ندى
الفجر ورأد الضحى. تتلاقى
فيها الأزمنة دون أن تتناقض.
وتتفاعل فيها التقاليد مع المستجدات كأنها
مزيج بين المعقول واللا معقول وبين الحاضر
وسابقه ولاحقه.

إنما ومضات مضيئة تنير عن بعد.
وتوحي بالاحلام والرؤى.. تسجل أحداثا لا
بنظرة المؤرخ وإنما بعدسة الانعكاس ويؤثر

«رجع الصدى» وثيقة هامة

البراءة (1).

ARCHIVE

هذا «رجع الصدى» أو هذا شيء مما فيه..

<http://Archivebeta.Sakhsit.com>

محطات في حياة الطفل محمد العروسي المطوي تستعيد ذاكرة الشيخ
وتنقلها إلينا في تفاصيلها نابضة بالحياة، وتطرحها أمام أعيننا وكأنها تحدث
الساعة... محطات هامة اختارها الأديب ليرسم خطاه وخطى جيله، ويصور
ملامح حياة أمست ضبابية في الأذهان وكاد يلفها النسيان.. علامات بارزة في
حياة الطفل أثرت فيه - بما أنها رسخت ولم تمحها السنين - وإشارات مضيئة
مهدت له طريق المستقبل.

والكتاب يتوقف عند مرحلة الطفولة ولا يتعداها. يبدأ، في الإهداء المؤثر
الجميل، بتلك الأزوجة التي رقصت بها الأم صبيها عندما بلغ الشهر الثالث :

«زين زان

حصل ثلاثة ملعام

الرابع لافي على خشان

سلطان طلب علحكام
فزعتله جميع لحكام» (2).

وينتهي بنيل الفتى «الشهادة الابتدائية» بمدرسة «فبريكات الثلج»
بالعاصمة وباختياره التوجه إلى جامع الزيتونة لمواصلة تعليمه الثانوي.

وبين أهزوجة الشهر الثالث ونهاية مرحلة التعليم الابتدائي تتوالى المحطات
متشابهة ومتباينة مختلفة. في بعضها البسمة والضحك وفي بعضها الدمعة
واللوعة.. في بعضها الواقع بنتواءاته وتضاريسه وفي بعضها الآخر أحلام وردية
مجنحة طائرة... وفي جميعها طفولة هائلة هادئة سعيدة لاهية.

ففي «يوم القرة» (من الصفحة 7 الى الصفحة 11) أولى الذكريات التي
ظهرت على صفحة المرأة والفتى ابن سنتين أو أقل أو أكثر قليلا ... ذكرى مطر
غزير ينزل على القرية وكاد يغمرها، «نازل كأنه ينحدر من أفواه القرب.. كان
شأبيب شأبيب» (3).

و «في حضرة الأسمر» (ص 12 - 15) ذكر «للأقطاب».. الأولياء
الصالحين وما ينسج حولهم من حكايات .. وحديث عن دخول الفتى للطريقة
السلامية نسبة إلى السيد عبد السلام الأسمر. وفي زليطن بالقطر الليبي الشقيق.
وفي «عتروس سيدي بولابة» (ص 17 - 21) زيارة مقام الولي سيدي أبي
لبابة الانصاري حجام الرسول.. والعتروس نذيرة للولي الصالح «فقد مرض الفتى
بالحمى، واشتد بأمه الجزع فنذرت الجددي لسيدي بولابة إن شفي فتأها من
مرضه» (4).

وفي «سي عمر والزعيم عبد الكريم» (ص 23 - 27) حديث عن سي عمر
المؤدب ومعه ذكر للأجواء المحيطة بالكتاب ولما يحدث داخله، وذكر للألواح والمحاية
والفلقة والعصي والحصير... أما الزعيم فهو زعيم الكتاب «أقبيج، مفتول
العضلات، عريض المنكبين، أدعج العينين...» (5) وكذلك الزعيم المغربي المعروف
«الخطابي» الذي كان اسمه يتردد كثيرا في تلك الفترة.

وفي «يوم الطيارة» (ص 29 - 32) يرى الفتى هذا الطائر العجيب لأول
مرة .. وذكر الطائر يقود إلى الحديث عن نضال القرية وبعض رجالها ضد
المستعمر، وعن تغفل «الدستور» في نفوس الناس.

وفي «جنينة العيد» (ص 33 - 37) طريقة الاحتفال بالعيد في قرية الفتى ... يليها في «غياب المقلع» (ص 38 - 42) حديث عن المعايدة وعن لعبة المقلع «اللعبة المخيفة» التي يتسلّى بها الصبيان أيام العيد.

أما في «الفرار من الوحمة» (ص 43 - 48) فالنشع والوحمة يدفعان الأهالي إلى الانتقال بالقرية إلى مكان أسلم صحياً بعيداً عن «النزّ والخزّ» والرطوبة والعفونة.

وفي «شيخ الكوليج» (ص 49 - 53) الدخول إلى المدرسة الابتدائية وبداية التحول في حياة الفتى.

وفي «الحبس قبل الجامع» (ص 54 - 59) حديث عن القرية الجديدة وعن ظاهرة التعاون والتآزر التي كانت منتشرة بين السكان.

وفي «النجاة من العسكر» (ص 60 - 65) اليوم الأول بالمدرسة الابتدائية (الكوليج) وحديث عن الرومي والعسكر.

وفي الفصل الثاني عشر «كاد المعلم» (ص 60 - 70) حديث شيق عن الدراسة بالكوليج وعن بعض المعلمين الذين تتلمذ عليهم الفتى.

وفي «ذكرى التلفون» (ص 71 - 76) حديث عن «النل» (البرقية) والتلفون وذكريات أول تعامل للفتى مع هذا الجهاز العجيب.

وفي «يوم أن بست نونو» (ص 77 - 82) إعجاب الفتى بأبن المدير الرومي وحديث عن الحلاقة في ذلك العهد.

أما في «ليلة الجراد» (ص 83 - 89) فذكريات هجوم الجراد على القرية ومحاربة السكان بشتى الوسائل المتاحة.

وفي «الزوج الصغير» (ص 90 - 99) رسم رائع لأحلام الطفل المجنحة ولخياله غير المحدود.

وفي «عيون الواحة» (ص 100 - 105) حديث عن عيون الماء بالقرية وعن أهميتها في حياة الناس وعمّا يدور حولها من أحاديث.

وفي «المغص والشهادة» (ص 106 - 110) ذكريات إجراء امتحان الشهادة الابتدائية وفشل الفتى في اجتياز هذه العقبة.

وفي «المصارين وثكة السروال» (ص 111 - 116) حادثة طعن بالموسى يتعرض لها الفتى.

وفي «جدي طويل العود» (ص 117 - 122) أصل أجداد الفتى ونسبهم ومكانتهم.

وفي «أصابعك والمنجل» (ص 123 - 127) يجبر الفتى على مشاركة العائلة في عملية الحصاد نظرا إلى أنه لم ينجح في الشهادة.

وفي «بالهلاكو زاده» (ص 128 - 134) يركب الفتى القطار ويسافر الى تونس ليختن ... ويجري مقارنة بين حفل الختان في القرية وفي العاصمة.

وفي الفصل الأخير «من عمود النار إلى الاختيار» (ص 135 - 142) ينتقل الفتى إلى تونس للدراسة وينجح في الشهادة الابتدائية ويعرض عليه الاختيار بين الصادية وجامع الزيتونة لمواصلة تعليمه الثانوي فيختار «الزيتونة».

هذه فصول الكتاب الثلاثة والعشرون. ونعتقد أن تقديمها بهذا الشكل يساعد على تكوين فكرة إجمالية عن محتوى الكتاب ويقدم دليلا ساطعا على تعدد المواضيع المطروحة وقنوع الذكريات وثرائها، ولا شك في أن الكاتب تعامل مع «ذكرياته» بمنطق الاختيار ولا يمكن لأحد أن يعاتبه على ذلك، فهو لا يكتب سيرة ذاتية وإنما هو اختيار بعض الصفحات التي تعطينا صورة متكاملة عن طفولته وعن الحياة التي كانت سائدة في قريته بالجنوب التونسي في تلك الفترة.

لكن، وبالرغم من هذه الخصوصية، وبالرغم من فارق السن بين جيلنا وجيل العروسي المطوي، فإننا نجد أنفسنا في العديد من ذكريات الشيخ. فما حدث «للفتى» مع الطائفة وهو يشاهدها لأول مرة حدث لنا ما يشبهه. وما فعله مع ابن المدير الرومي في العشرينات فعلنا ما يماثله مع ابن مديرنا الرومي في أواسط الخمسينات... وعندما نقرأ حديثه عن الجراد تعود بنا الذاكرة إلى ما عاشته قريتنا في الوطن القبلي يوم زحفت عليها تلك الحشرة الفتاكة التي قضت على الأخضر واليابس في نهاية الخمسينات... ولما نتتبع ما قاله عن الشهادة الابتدائية تستعيد ذاكرتنا العديد من المشاهد والكثير من التفاصيل عن معلمينا ودروسهم وعن ظروف الإمتحان والإعلان عن النتائج مساء يوم قانظ، وكذلك عن انتقالنا إلى مدينة نابل وسكننا في «الأوتيل» استعدادا لإجراء امتحان

«السيزيام»... ومن المؤكد أن «المطوي» لم يكن «شقياً» خبيثاً لعويا وإلا لرسم لنا صفحات عديدة عن الألعاب و«الشقاوات» التي كان يأتيها الأطفال في مثل سته. فنحن عندما نعود إلى طفولتنا نعثر على كم هائل من الألعاب والصراعات والأحداث الصغيرة التي تلفت النظر وتشد الإنتباه.

ولهذا نعتقد أن ذكريات الأستاذ المطوي في «رجع الصدى» تمثل ذكريات أجيال مختلفة وتعتبر وثيقة هامة عن حياة بلادنا في فترة من فترات تاريخها تشمل النواحي التربوية والاجتماعية والإقتصادية والسياسية.

وبالإضافة إلى هذا فإن ما يلفت انتباهنا في هذه «الوثيقة» هو تلك النظرة التي ينظر بها «الفتى» إلى الغرب. ولا نعتقد أن الكاتب قصد إلى ذلك وإنما جاء الأمر عفوية. فهذا «الغرب» الذي يراه الفتى ويتعامل معه غريبان. الأول هو ذلك الذي يمثله الإستعمار وبتسلطه الحرب وهو مستبد مغتصب ظالم شرس مدمر، يحتل الأرض وينهب خيراتها ويتسلط على سكانها... «...» ورئيس الجمهورية !! إنه رومي مثل «الجادارمي» والبوليس والعسكري ومدير المدرسة والمعلم.. كانوا كلهم سواء في الضمير الوطني... إنهم يمثلون الجبروت والإعتساف... افتكروا الأرض.. ابتزوا الخيرات.. أهانوا الناس وسجنوهم قدام أبناء الشعب طعاما سائفا لسلح الدمار في الحرب العظمى... عشرات الآلاف من الأبرياء أكلتها تلك الحرب في سبيل نصرة الرومي » (6).

هذا الحديث الذي يلتغظه الفتى ممن حوله عن الغرب في صورته البشعة المنكرة يجعله يفتح عينيه وأذنيه ليكون أكثر وعياً ولما بما يدور في القرية وخارجها من تحركات ومظاهرات وبما يتردد في الفضاء من أقوال وشعارات تهدف كلها إلى زعزعة المحتل وتنادي بإسقاطه وإسقاط جميع من يتعاملون معه. ولنقرأ معا هذه الشهادة التي يقدمها الفتى على لسان أحد المواطنين : «كنت في المسجد بعد صلاة العشاء يوم 27 - 11 - 1924 فسمعت القيامة قد قامت ... خرجت فوجدت الناس متجهرين وقد حملوا الرايات التونسية والمشاغل... وسمعتهم يقولون : يسقط القلاطي .. يسقط من يلبس الكبيته... تسقط فرنسا...» (7).

هذه التحركات وهذه الشعارات تجعل أهل البلد متهمين ملاحقين من قبل أعوان المستعمر وزيانته. نقرأ في الصفحة الثلاثين «أنهم [أي أهل البلد] كانوا

في موقف سياسي حادّ ضدّ فرنسا المتسلّطة على الوطن. وإن أهل البلد متهمون بتدبير مؤامرة ضدّ أمن الدّولة ولهذا عازمت الحكومة على الإنتقام منهم وتهديدهم..

هذه هي صورة الغرب الأولى المنطبعة في ذهن الفتى. أما الصورة الثانية فهي تلك التي تبهر الفتى وتثير إعجابه وتفرض إحترامه. وهي تتمثل أولاً في المدير وابنه والمدرسة التي يشرف عليها وثانياً في ما أنتجه الغرب من آلات عجيبة مثل الطائرة - وإن كانت آلة للدّمار - والقطار والحافلة والتلفون...

«المدير رجل طيب الأخلاق، جمّ الادب، يحبّ تلاميذه ويعطف عليهم ويخلص في تعليمهم» (8) وهو الذي أنقذ حياة الفتى عندما طعن أحد أصدقائه بموسى فتولّاه المدير بالعناية والرعاية حتّى التأم جرحه.

وابن المدير يختلف عن أمثاله من الاطفال وكأنه من كوكب آخر، جميل، نظيف.. يعتبر مجرد الإقتراب منه وليس له حدثاً هاماً. «واللي اصطفى محمد شفت نوئو ولد المدير .. مسيته.. بسية» .. «فازدادوا منه اقتراب، [الاصدقاء] وتحلقوا حوله، وأخذ يحدثهم ، كيف وجده نظيفاً، جميلاً، كيف كان شعره أرطب من الحرير... كيف كانت تفوح منه رائحة عطر زكية.. كيف كان جبينه في غاية الصفاء والبياض، كيف كان خده أطرى من الزبدة.. كيف كانت يده بيضاء مثل الشمعة.. كيف .. وكيف.. وكيف» (9) <http://Archivebeta>

أما المدرسة فما أبعداها عن الكتاب وحصائره وضيقه ورطوبته. «كنت مدهوشاً بما رأيته من نظام وتنسيق. غرفة فسيحة نيّرة، تزداد جدرانها الجصّصة بمعلقات بديعة فيها كتابات لم أستطع قراءتها، وصور لحيوانات أعرف منها البعض كالارنب والدّيك، والبعض الآخر لا أعرفه، وتلك المقاعد المنتظمة صفّين متوازيين.. إنّها بعثت في خيالي صوراً عديدة...» (10).

وأما الطائرة فهي تلك الآلة الغريبة التي يقول عنها «أحد الواقفين» : «... إنّ تلك التي تراها صغيرة كحقّة الوقيد هي أكبر من مخزنكم، وإنّها تحمل بشراً يقودونها» (11).

وأما القطار فكأنّه حيوان أسطوري عجيب «يصفّر من بعيد، ويظهر دخانه يساعد في الجوّ، وتتتالي زخّات بخاره على جنبات القاطرة كأنّها تبعده عنه الحشرات والهوام» (12).

لكنّ هذا القطار يصبح كالسُلحفاة في سرعته إذا قورن بالحافلة التي «ما أن تعلن عن قدومها بتزميرها المتميّز حتّى تقذف الدّور بأطفالها هارعين إلى الشارع لينعموا بروية هذه المركبة العجيبة والسيارة السّحرية» (13).

ومن يدري فلعلّ هذا الإعجاب المفرط وهذا الانتباه الشديد بـ «الغرب الثاني» ولّد لدى الفتى نوعاً من الرّهبة والخوف امتزج لديه بذلك النفور و«الكره» الذي يكتّنه «الغرب الأوّل» المتسلّط المتجبر .. ممّا جعل الفتى يختار مواصلة دراسته الثّانويّة بجامع الزّيّتونة ولا يتّجه إلى المدرسة الصّادقيّة التي قد تكون في ذهنه صورة من صور الغرب، بينما تشلّ الزّيّتونة معهداً أصيلاً أليفاً قريباً من نفسه. وإن كان الفتى يقول «إنّه لا يعلم شيئاً عن المدرسة الصّادقيّة» (14)، وأنّ ذكر جامع الزّيّتونة يعيده إلى حلم من أحلامه يتمثّل في «صورة الشيخ المعتمّ وسط واحة القرية تحت ظلال الدّوالي والرّمان، وهالة من الرّجال ينصتون إلى ما يقوله كأنّ على رؤوسهم الطّير» (15).

ونعود إلى ذكريات الفتى فنجد بعضها منطبعا في ذهنه ملتصقا بصفحة ذاكرته، حيّاً في كلّ حين لا يلفّه ضباب ولا يمحوه مرور السّنين.

يقول في الصفحة الخامسة عشرة وهو يتحدّث عن تلك الصّبيحة التي أطلقها الذّاكرون يعلنون بها أنّ الفتى أصبح منسجماً للطريقة السّلاميّة ومن أتباعها : «انطبعت تلك الصّبيحة في ذهنه وارتسمت تلك الصورة في ذاكرته دون أن ينالها ما ينسى أو يمحو».

ويقول في الصفحة الرّابعة والثلاثين وهو يتحدّث عن «جنينة العيد» ذلك البستان الذي «ينصبه» الأهالي في وسط القرية يوم العيد «انطبعت صورتها في ذاكرته دون أن ينالها محو أو يغطّيها نسيان».

ويقول في الصفحة الثّالثة والسبعين : «وكان للفتى مع التلفزيون قصّة لا ينساها أبداً»

ثمّ يقول في الصفحة الثّالثة والتسعين : «أمّا الذي يذكره جيّداً...»

لكنّا - عكس ذلك - نجد الفتى في أحيان كثيرة محتاراً، متردّداً، يتلمّس الأشياء وسط ضباب كثيف ويجهد نفسه فلا تسعفه الذّاكرة.

«يتذكّر بدايات أشياء تبدو متداخلة كالضّباب المتراكم الكثيف» (16).

«وتغيم مشاهد المسيرة عن ذاكرة الفتى» (17).

وه مرة أخرى تغيم مسيرة الذكريات فلا يستعيد منها إلا...» (18).

ثم نقرأ في الصفحة الثالثة والعشرين : «لم يكن في مستطاع الفتى أن يعرف بالضبط سنة دخوله للكتاب وأن يحدّد عمره إذّاك...»

ويضيف في الصفحة الرابعة والعشرين : «وحاول الفتى - مرّات - ونعتقد هنا أن الكهل أو الشيخ هو الذي حاول أن يتذكّر أن يحدّد يوم دخوله الكتاب فتعذّر عليه ذلك، بل تعذّر عليه حتّى معرفة عمره إذّاك».

ويقول في الصفحة الثالثة والستين : «لأنّه لا يذكر شيئاً من ذلك، وفي الصفحة السادسة والستين «لأنّه لا يدري - بالضبط - ماذا حصل منه...» وفي الصفحة الخامسة والثمانين : «لكنّ الصّورة ظلّت غامضة في ذهنه» وفي الصفحة الثالثة والتسعين : «ولا يذكر الفتى كيف أقنع أهله...»

ثمّ يقول : «ولا يذكر الفتى بالضبط ماذا حدث بينه وبين صديقه...» (19).

وه إنه لا يذكر شيئاً من ذلك» (20) «وحاول... وحاول... لكن ذاكرته كانت أشدّ ما تكون بخلّاً بما اختزنته» (21) «ومرة أخرى يحكي الشريط من الذاكرة» (22).

إنّ هذا الضباب وهذه الغيوم وكلّ هذا التعرّ والتردّد يجعلنا لا نقرّ الرأى الذي ذهب إليه البعض وهو اعتبار «رجع الصّدّى» سيرة ذاتيّة للعروسي المطوي، فالسيرة الذاتية هي كشف لذات صاحبها بكلّ ما في الكشف من صدق وصراحة وجرأة ووضوح. كما أنّها تاريخ من نوع خاص لحياة الكاتب ولما أحاط به من ظروف وملابسات في شتّى المجالات.

يقول جان جاك روسو في مستهلّ «الإعترافات» : «أريد أن أكشف لبنى جنسي إنساناً كما هو على حقيقته، وهذا الإنسان هو أنا».

ويقول أيضاً : «لقد صوّرت الأمور التي نسيتهما كما بدا لي أنّها ينبغي أن تكون، ولربّما صوّرتها كما وقعت فعلاً، ولكنّي لم أخرجها قط في صورة تناقض ما علق بذاكرتي منها. ولقد كنت أحياناً أضفي على الحقيقة فتنة ليست لها، ولكنّي لم أعمد قط إلى الكذب أخفي به رذائل أو أدعي به فضائل» (23).

فهل نجد في كتاب الأستاذ المطوي مثل ذلك الكشف وتلك التعرية التي نعثر عليها في السير الذاتية الغربية المعروفة ؟ وهل ينسجم هذا الأثر ويتلاءم مع التعرف السائد اليوم للسير الذاتية ومفهومها ؟

لا نريد أن ندخل في جدل من هذا النوع لأن مجال هذه القراءة السريعة المتواضعة لا يسمح بذلك ثم إننا نعتقد أنه يحق لنا - كعرب مسلمين - أن يكون لدينا مفهومنا الخاص للسير الذاتية وافق أم لم يوافق النمط الغربي المتداول... ولو أننا عدنا إلى «حياتي» لأحمد أمين و«حياتي» و«زهرة العمر» لتوفيق الحكيم و«سبعون» لميخائيل نعيمة و«الأيام» لطف حسين. وغيرها من الآثار العربية التي تنحو نحوها. لعثرنا على مواصفات معينة للسير الذاتية «العربية» تتفق أحيانا مع النموذج الغربي وتختلف عنه أحيانا أخرى.

فهذه الأعمال كلها - ورجع الصدى واحد منها - تجمع بين مختلف الأجناس الأدبية المعروفة وتحاول التوفيق بينها لتخرج في النهاية بنمط يقترب من السيرة الذاتية لكننا لا يمكن أن نعدّه كذلك إذا نظرنا إليه بمنظار هذا الجنس الأدبي الجديد علينا المسمى بالسير الذاتية.

فهل يعود هذا إلى أن أدباءنا لم يتمرسوا بعد بهذا الجنس الأدبي الذي ظهرت بداياته منذ قرنين تقريبا أم إنهم اطلعوا عليه - وهذا مؤكد - واستوعبوه لكنهم لم يجدوه - في بعض ملامحه - موافقا لطباعهم وتقاليدهم وتقاليدهم مجتمعاتهم، فحاولوا - فيما كتبوا - أن يبرزوا ذواتهم ويعرضوا تجاربهم في شكل يجمع بين الرواية والمقالة والمذكرات والسير الذاتية ؟

ومهما يكن من أمر، فإننا نعتقد أن «رجع الصدى» ببناؤه الواضح الخفيف وبلغته السلسة المختارة، وبما احتوى عليه من رسوم لخطى الفتى ومن صور للبيئة التي عاش فيها جدير بالقراءة والاهتمام، وخطوة أولى نرجو من الأستاذ العروسي المطوي أن يتحفنا بعدها ببقية مراحل حياته الثرية بالتجارب.

نبض الاشياء الداخلية في
«حالة اضطراب» لخديجة الجويني

كلمة «اضطراب» في عنوان
مجموعة «خديجة
الجويني» القصصية «حالة
اضطراب» على مضامين نفسية
سأحاول تقصيصها في أربع قصص
أخذها على سبيل الصدفة.

تحياتنا

القصة الاولى : «ذهول الشمس» :

قراءة نقدية

نجد فتاة تتحسر على موت والدها في حادث حافلة وتطرح تساؤلات وجودية من
نوع «لماذا الموت يسلب الحياة ؟ والقبور ألا تكفيه الجثث؟ ألم يتخمد بعد ؟ » (ص 7)

ويمكن أن تلخص هذه القصة إلى فترتين أساسيتين :

فترة انفعال وجداني هابط صوّرت فيها الكتابة حالة الحزن التي تعيشها
الفتاة، وتمتدّ هذه الفترة من البداية إلى قولها «ويكثّ حتّى نامت» وفترة انفعال
وجداني صاعد رسمت فيها القاصّة تسرّب النور إلى نفس الفتاة وهي تحضن
الصورة الوهمية لأبيها.

ويتجلى المضمون النفسي في الانطواء الذي تعيشه الفتاة وهو انطواء لم
تصرّح به الكاتبة لكن يمكن أن يستشفّه القارئ من توجيه الفتاة كلّ اهتمامها
لأبيها الذي انتزعه الموت منها «كان شمساً يضيء أيامها وقمرأً يَئيرُ لياليها» (ص
5) ويمكن تفسير هذا الانطواء الذي تعيشه الفتاة وإصرارها على الحياة في
دائرة ضيقة من الذكريات مع والد أخذته المنية بصعوبة تجدها في ربط علاقات
إيجابية بالآخرين.

يبدو أن هذه الفتاة تعوزها الخبرة الاجتماعية التي تسمح لها بربط

علاقات مع الآخرين تنسيها مرارة فقدان أبيها وتفتح لها آفاقا جديدة في الحياة.

وربما كان الانطواء الذي تعيشه هذه الفتاة قد تسبب لها في نكوص (هو تراجع الفرد إلى أساليب طفلية أو بدائية من السلوك والتفكير والانفعال حين تعترضه مشكلة أو يلتقي بموقف أزم، فإذا به يستبدل بالطريق المعقولة لحلها أساليب ساذجة يبدو فيها تهلل التفكير وغلبة الانفعال ... ومن مظاهر النكوص السب والصراخ والتمارض والغيرة والعناد والبكاء عند الارتطام بالمشاكل... والإسراف في الحنين إلى الماضي «أيام زمان» خاصة عند من كانت طفولتهم يغشاها الأمن والطمأنينة... والنكوص غير مقصور على الكبار، فالطفل ذو السادسة قد يأخذ في التبول القسري أو في مص أصابعه أو يكثر من العناد والعصيان إن رأى أخاه الأصغر قد استأثر بعناية أمه وعطفها من دونه. فهو ينكمس إلى أمه - نكوصا لا شعوريا - بطبيعة الحال، عسى أن يصيبه شيء من الحنان المفقود (د. أحمد عزت راجح - أصول علم النفس / مكتب المصري الحديث / ص 554) فارتدت دون وعي منها إلى سبب الطهولة وأخذت تسلك سلوكات الطفلة الصغيرة لتثير تعلقها بأبيها.. والنكوص ليس سوى حيلة دفاعية قد يكون استعملها «أنا» الفتاة حتى لا يتهم نفسه بالعجز عن ربط علاقات ايجابية بالآخرين.

وإذا أردت أن أحصي المعجم الفني الذي له صلة بالنفس أمكن لي أن أسجل ما يلي :

ذكرى مولة - مخيلتها - تنسى - تتناسى - تلاحق أفكارها - الفهم - التفكير - بكل براءة - مات - يموت - الحياة - تنتظر - الصوت - الحياة - أفكارها - مأساتها - لا تجزعي - قوية - الصبر - ذكرى حلمها اللذيذ - الصبر.

فمجموعة هذه الالفاظ لها صلة بما يجري في النفس من عمليات ذهنية وعواطف إيجابية وسلبية، ضعيفة وعنيفة...

وهذا المعجم الفني يؤشر مرة أخرى إلى أن القصة ذات مضمون نفسي يصور ما يجري بين الضلوع ويترك ما يحدث بين أرضفة الشوارع.

وعنوان القصة «ذبول الشمس» مجاز استعمل لتقوية المعنى وإبرازه وذلك بالحديث عن العاقل بما يستند عادة إلى غير العاقل وهناك في القصة صور فنية عديدة ، منها :

«كان شمساً يضيء أيامها وقمرًا ينير لياليها» (ص 5)

«الشمعة تَمُرَّقْ أديم هذه الليلة» (ص 5)

«هذه الاستفهامات الكثيرة تدكّ رأسها الصغير» (ص 5)

«والقبر... ألم يتخم بعد ؟... القبر يلتهم يومياً جثثاً ، لن يشبع أبداً ولم يتخم مطلقاً اذن !!!» (ص 5)

وبما أن صفحة واحدة تتضمن العديد من الصور ، فواضح أنّ خديجة الجويني تستعمل سجلاً لغوياً يعتمد على التصوير، وهو بعد أسلوب يهدف إلى خلق معاني جديدة وطريقة ينشأ منها الانفعال الشعاري في نفس المتلقّي.

يقول الدكتور جوزيف ميشال شريم في «دليل الدراسات الأسلوبية» الصادر عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (1987) (ص 21) : «ترتكز النشوة الشعرية على اختزال ثنائية ما يفضل الجمع بين قطبي النزاع (i # b = a + b)».

فعندما نقول : « بساط من النجوم» نحصل على اختزال التّضادّ بين «النجوم» السماوية «والبساط» الأرضي بفضل خلق لمعنى جديد طريف، وهكذا تكون طبيعة الانفعال الشعاري طبيعة خلّاقة بسبب النشاط الحقيقي في تركيب المعاني الذي يقوم به فكر الانسان..

عندما تكتب خديجة الجويني «كان شمساً يضيء أيامها» (ص 5) فإننا نحصل على اختزال التّضادّ بين الأب (الذي هو ضمير مستترّ في الجملة) والشمس فيكتسب الأب سمة من سمات الشمس وتكتسب الشمس سمات الأب فينشأ معنى جديد.

وعندما تكتب «الشمعة تَمُرَّقْ أديم هذه الليلة» (ص 5) فإننا نحصل على اختزال التّضادّ بين «الشمعة» وفعل «تَمُرَّقْ» فتكتسب الشمعة صفات الأشياء الحادة (الموجودة ضمناً في فعل «تَمُرَّقْ») وتكتسب الأشياء الحادة صفات

الشمعة بواسطة خلق لمعنى جديد وطريف.

القصة الثانية : «لحظات صمت تتواهب»

تصور لنا حال رجل يسعد بقدوم الليل ويتمتع بصمته الذي يسمح له بالتفكير الهادئ ومراجعة النفس وتقليب الذكريات ويعتقد « أن وجه الحبيبة بعضه هذا الليل الذي اتسم بسكينة فريدة » (ص 8) - أحب الرجل الليل لأنه يذكره بفناته التي لم يحب غيرها ويرغم ذلك هجرته وخلفت له الليل يبحث في سواده وصمته عن صورة لها. ولما رآها «صباح أمس» أراد أن يكلمها فلم يستطع ومرت بسرعة بينما ظل هو يرنو إليها من بعيد. ليلتها لم ينم على الإطلاق.

في هذه القصة التي تغلب عليها النزعة الرومانسية يكاد النص يتحول إلى لوحة لوصف الليل ومشاعر رجل فشل في الحب. فالصمت يكاد يسود في الخارج ويبقى نبض الأشياء الداخلية يملأ نفس الرجل التي هي الفضاء المحتكر لمعظم الأحداث. وهذا ما يجعل القصة تتميز بشيء من السكونية ولكن جميلة تحمل على الحلم.

وينشأ الانفعال الشعري لدى قارئ هذه القصة من الصور الفنية العديدة

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

مثل :

« وجد الرجل نفسه وقلبه يواجهان الليل » (ص 8)

« كان الصمت في مداراته يمر كأنامل رقيقة تلامس أوتار الذاكرة » (ص 8)

« رأى أن يغتسل كي يقتل جراثيم الكآبة المتوحشة التي تنغل في قلبه

كالديدان » (ص 9)

« صباح ازداد فيه وجيب القلب » (ص 9)

ويمكن تقسيم هذه القصة إلى ست فترات أساسية :

- الفترة الأولى : من البداية إلى قول الكاتبة «يخف من حدة التوتر»

(ص 7) وهي فترة انفعال وجداني هابط تصور فيها الكاتبة مشاعر رجل يريد أن ينسى كل شيء ويستسلم لليل لعله يجد بين أمواجه السكونية التي تصبو إليها نفسه.

- الفترة الثانية : من «حين حَلَّت اللحظات...» (ص 7) إلى : «لا يبقى مجال لتأجيل التنفيذ» (ص 8) : هي فترة انفعال وجداني صاعد يتفاعل فيها الرَّجُل (الشخصية الرئيسية في القصة) مع الليل ومع الصُّور الوهمية للحبيبة.

- الفترة الثالثة : تبدأ من «كان وكانت...» (ص 8) وتنتهي عند «يحظى بلقائها ثانية» وهذه فترة انفعال وجداني هابط اقترنت بالطبيعة بين الرَّجُل وحبيبته.

- الفترة الرابعة : تبدأ من «لَمَّا ابتسمت...» (ص 8) وتنتهي عند «لم يكن يرغب إلا فيها» (ص 9) وهي فترة انفعال وجداني صاعد اقترنت برؤية الرَّجُل حبيبته.

- الفترة الخامسة : تبدأ من «و حين ابتدأ الليل...» (ص 9) وتنتهي عند «كأنه يريد تهشيمه» (ص 10) : وهي فترة انفعال وجداني هابط صوّرت فيها الكاتبة الحالة النفسية المتدهورة للرَّجُل منذ أن مرّت بقرية حبيبته ولم يستطع أن يكلمها.

- الفترة السادسة : تبدأ من «جاءه وجهها باسماء» وتنتهي عند نهاية القصة : وهي فترة انفعال وجداني صاعد أبرزت فيها الكاتبة مفعول وجه الحبيبة في مخيلة الرَّجُل. لقد تحول الضَّجْر في الفراش إلى حلم لذيذ بعد ظهور وجه الحبيبة في المخيلة.

ولإبراز المضمون النفسي في هذه القصة أشير إلى أن هذا الرَّجُل انطوائي، يعيش عزلة وضع نفسه فيها بمحض إرادته « الزَّحام البشري في الشوارع يفتت أعصابه الوجوه التي تعترضه باسماء وعابسة وجامدة مثل أقنعة لا تلين مهما كُلَّها ماء المطر» (ص 10) «إنّه ينفر من نبرات الاصوات التي تملأ الألفاظ، تلك التي تظللّ تقرر الاسماع...» (ص 10).

هذا الكلام يؤكد أن هذا الرَّجُل لا يرغب في مخالطة النَّاس ويفضّل الليل على النهار لأنّ هذا الأخير يخرج من عزله قسرا ليوافق متطلبات الحياة. بينما الليل يسمح له بولوج ذاته ومراجعة نفسه. «يسمح له خاصة بالطم.

وهو رجل كثيرا ما يفشل في تحقيق أهدافه خلال النهار، فيلجأ إلى

الليل، ليستعويض عن ذلك بالأحلام «صباح أمس لما طالعه وجهها أو شك أن يسفح عطاءً في كلمات وجيزة، فخانه صوته » (ص 9).

«ولأنّ الليل يتواطأ أحياناً مع الأمانى مع الرجل أن يستسلم للحلم اللذيذ، رغب في أن يظلّ وجهها باسماء...» (ص 10) ولو نظرنا إلى هذه الوضعية من منظور علم النفس التحليلي لأمكن لنا تأويل هذا التعلّق المفرط بالليل بكونه تبريراً لا واعياً لنفور الرجل من مواجهة متطلبات الحياة. فهو حبّ مختلف يدفع به القلق الناتج عن ضعف الشخصية وعدم قدرتها على الاستجابة لكل مطالب الحياة.

يقترن الليل عادة بالراحة والسكون والنوم والأحلام، وفي الليل تختفي الألوان وتضيع الملامح وتتلاشى الوجوه في الظلام، لذلك أحبّ الرجل الليل و«أحسّ أنّه بحاجة إلى أن يتصل المساء بالمساء...» (ص 9). ونفر من النهار الذي ما إن يطلع حتّى يتوقف الحلم وتنتهي الراحة ويهبّ مستجيباً لمقتضيات الحياة. فحبّ الليل حيلة لا واعية يستعملها «أنا» الرجل لتغطية عيبه المتمثل في الخوف من مواجهة متطلبات الحياة، وبهذا الحبّ لليل فقد وجد تبريراً لنفوره من النهار، ومن هذا المنظور يمكن اعتبار التعلّق بالليل إرضاء لا واعياً لرغبة الهروب من مواجهة الحياة.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

القصة الثالثة : «خرايط النزيف المستمر» : تصوّر لنا بإطناب الاضطهاد والتعذيب الذي يسلط على المعتقلين في الزنانات القذرة التي لا يدخلها النور.

تحدث هذه القصة عن رجل أخذ إلى المعتقل ظلماً صباح يوم من أيام فصل الشتاء، تمّ القبض عليه في فناء خلفي لبناية تهدمت واجهتها، وكان يرتعد وسط الأخشاب المحترقة وشظايا الزجاج المتبعثرة، في صباح ذلك اليوم «انهمر سيل من المتوحشين وانتشروا في المدينة... فسلبوا، ونهبوا، وأحرقوا... و...» (ص 13).

وفي المعتقل، انتزع منه المحققون اعترافات بكلّ ما لفقوه له وتكاد فترات الانفعال الوجداني تكون على وتيرة واحدة حيث يغلب على هذه القصة الانفعال الوجداني الهابط لكونها تكاد لا تصوّر غير الاضطهاد والتعذيب داخل المعتقل

مما أفقدها التنوع داخل الموضوع الواحد «la variété dans l'unité»، وهو قانون من قوانين البناء الفني في جميع أصناف الفنون.

ولو أردت أن أحصي فترات الانفعال الوجداني الصاعد في هذا النص لما عثرت على أكثر من فترتين :

الأولى (ص 14) : تبدأ عند « لكم كان شغوقا بالكتب » وتنتهي عند « وسهر يتحرى في ملاحم الشعوب » وهي فترة يظهر فيها شغف الرجل بالكتب وبقراءة أساطير الآلهة والجبابرة.

والفترة الثانية هي المتعلقة بالغناء الذي لجأ إليه الرجل للتخفيف من الآلام ولتبيد المخاوف وطرد الكوابيس.

وتبدأ هذه الفترة من « فجأة قام يتحامل... » (ص 19) وتنتهي عند : « واشتعل الليل... » (ص 19)، وبقيّة القصة اعتبرها فترة انفعال وجداني هابط لأنها لا تصوّر غير الآلام. وعلى أية حال فتقسيم القصص إلى فترات انفعال وجداني ليس سوى محض اجتهاد شخصي اعتمدت فيه على مقياس المعنى. ولا أدعي أن التقسيمات التي توخيتها دقيقة جداً لأن الانفعالات الوجدانية كثيراً ما يختلط في نفس الفترة صاعدها بهابطها فنكون بحاجة عندئذ إلى تقسيم أكثر تجزئة وأكثر تفاصيل من الانفعالات الوجدانية. ولئن كان عمل كهذا يضمن دقة علمية أكبر، فهو يتطلب دراسة أكثر تعمقاً وأوسع مساحة وأطول نفساً.

أما بالنسبة للمضمون النفسي، فإننا نجده منذ أول جملة « شعر بأنه يفتقد غرفته بشكل لا يصدق » (ص 11) وهي جملة أعيدت ثلاث مرّات في نفس النص.

ونجد جملة أخرى دالة أعيدت مرتين في النص :

« تمنى لو كان له قبر تزوره أمه » (ص 13) وجملة ثالثة أعيدت كذلك مرتين « خطيبتني أنني لم أمت » (ص 16).

واضح أن هذا الرجل غير قادر على الصمود ومواجهة تصارييف الحياة. فلأول مرة يتم اعتقاله (لو اعتقل سابقاً لذكر ذلك) تمنى الموت. لم يستطع تحمل آلام التعذيب فاعترف بما لم تقترف يداه، أجبروه على الاعتراف بكل ما لفهقوه له من تهمة.

وهو إنسان ليست له قضية جلب إلى المعتقل ظلماً. لم تنفع توسلاته، أصحاب «القضية» نعتهم بالمتوحشين.

«في صباح يوم من أيام فصل الشتاء، انهمر سيلٌ من المتوحشين وانتشروا في المدينة... فسلبوا، ونهبوا، وأحرقوا، ... و...» (ص 13).

وهو انطوائي لا يرغب في ربط علاقات بالآخرين، ويدل أن يدخل في حديث مع جيرانه المعتقلين قد يبدد ما به من أسي، فقد اكتفى بالتحديق فيهم بشراسة وكأنه يضمر لهم كراهية لم يعبر عنها، وحتى التفاعل الذي حدث بينه وبينهم قبل نهاية القصة بقليل، كان عن طريق الغناء الذي يضفي على الواقع ألواناً تستهوي النفوس، وليس عن طريق التفاعلات الاجتماعية الحقيقية التي تهدف إلى إظهار الواقع كما هو ورسم أهداف مشتركة والتفكير في الوسائل التي من شأنها أن تساعد على تغيير الواقع وفق الأهداف المرسومة.

يحب هذا الرجل الكتب ويشغف بقراءة أساطير الآلهة والجبابرة والعظام ويعتبرهم أصدقاء، وهذا مؤشر آخر على نزعة الانطوائية، فهو يفضل التعامل مع الموتى من خلال قراءة الكتب على التعامل مع الأحياء لأن هؤلاء تنجر عن التعامل معهم أعباء كثيرة. بينما التعامل مع الموتى من خلال الكتب لا يتطلب منه غير جهد القراءة، وهو أمر هين بالمقارنة مع ما يقتضيه التعامل مع أفراد المجتمع، وهذا الرجل متعلق بأمه تعلقاً غير طبيعي، ولا يذكر وهو في المعتقل غير أمه وكأنه لا تربطه صلة بسواها، وربما كان ذلك دليلاً على أن الرجل لم يحل مشاكله عاطفياً مع أبيه مما حدا به بصورة لا واعية إلى عدم التمثل بالآب (الذي يمثل الرجولة والشجاعة...) والنعمة على كل الرجال الذين ليسوا سوى صورة للآب المرفوض والتعلق المفرط بالأم.

وفي القصة ما يؤكد فكرة عدم التمثل بالآب الذي يمثل الرجولة والشجاعة... وهو ضعف هذا الرجل في المواقف العصبية التي تتطلب حداً من الصلابة :

«فاضت دموعه بجلال يلائم جدية الموقف» (ص 15)

«تمنى لو كان له قبر فتزوره أمه» (ص 16)

«خطيئتي أنني لم أمت قبل هذه اللحظة» - ص 16

القصة العاشرة : «حالة اضطراب» وردت في الصفحات من 65 إلى 70. تتحدث عن رجل ليست له مشاكل مع الناس ومشكلته الكبرى مع نفسه، فهو رجل قلق، دائم التوتر، يبحث عن أجوبة لأسئلة تصعب الإجابة عنها لأنها تتعلق بالغيب، بطلاسم الوجود... هو رجل يريد أن يعرف أشياء يعتقد أن جدارا يحجبها عنه ولذلك يريد هدم الجدار وعندما ينس من القدرة على هدمه، أصبح يود أن يتسلقه وتفتن ذات صباح إلى أن الصلح بدأ يتسرب إلى رأسه، ورغبت القديمة في تسلق الجدار لا تزال على ما هي عليه.. يشقى هذا الرجل كثيرا بإحساسه بأن السنوات تمر، بلا فائدة، تتوالى ولا تأتي بالجديد. فالطلاسم القديمة لا تزال قائمة في ذهنه، والحيرة لا تغادر نفسه، والعمر يأبى أن يوجد عليه بلحظة إشراق يطفئ فيها شوقه إلى المجهول وتتكشف فيها الحجب لنفسه. «أغمض عيني، وهو يعاني ضعفا لا حدود له، وسقط يتخبط متوسلا دستور الحياة أن يمنحه فرصة واحدة كي يرى لحظة أثرية فيقول لها : جودي بالنبأهة والفتنة والطموح فالحياة قصيرة والزمان قلما يضيف للمستقبل فترة وجيزة» (ص 69) ولئن انفتحت نافذة في الجدار وظهر وراءها شجر الرمان مزدانا بزهر الجلتار فإن الأفق يبقى مخفيا بظلال الجدار الكثيف ويبقى شوق الرجل إلى معرفة المجهول قائما.

وكان هذا إشارة إلى أن المعرفة الانسانية مهما بلغت فلا تعدو أن تكون نافذة صغيرة لا تمكن من معرفة الغيب والإجابة عن الأسئلة الفلسفية الكبرى حول ماهية الانسان وغاية وجوده ومعنى الحياة والموت والقيم...

وقد ترددت كلمة «الجدار» ثلاث عشرة مرة في النص، وهذا ما يقيم الدليل على أهميتها في تحديد مضمون القصة وهي رمز ملائم يوحي بفكرة الحاجز، فاستعمال كلمة «جدار» للدلالة على الحاجز المعنوي المتمثل في حدود المعرفة الانسانية مجاز استعمل لتقوية المعنى وإبرازه بتجسيم الفكرة المجردة (حدود المعرفة الانسانية).

وتتناوب في هذه القصة فترات الانفعال الوجداني الهابط وفترات الانفعال الوجداني الصاعد بشكل متناسق مما ساعد على إيجاد الحركة والتنوع في نطاق الموضوع الواحد. la variété dans l'unité.

أما بالنسبة للمضمون النفسي فتدعمه الالفاظ العديدة التي لها صلة بالنفس وبالعلاقات الوجدانية العاطفية والعمليات الذهنية التي تجري فيها، ومن هذه الكلمات : وجدانه - الانفعال - الحيرة - ضاقت نفسه بالقلق - رغبته - يذس - رغبة عنيفة - تتملكه - الظروف والأحوال - لا ييالي - يقسو - يتجهّم - يصخب - يغفو - يستيقظ - بعزم - برغبته - تدفعه - الرغبة، (كل هذه الالفاظ والتراكيب وردت في الصفحة 65 وحدها).

والرجل الذي تتحدث عنه القصة لا يمكن أن يكون إنسانا سويا من الناحية النفسية، لأنه يعيش قطيعة كبرى من الناحية الاجتماعية، فلا يربط علاقات بأحد مهما كان نوعها « إنه لم يعقد أي حلف مع أي أحد حتى يمنع نفسه من الصراخ، حتى يجيب عن أسئلة المستطلعين، إنه لم يحدث أن أطلق مجساته يترصد المخاليق أين كانت وحيث تكون هو مشغول بالحروف التابعة من توقّد وسأوسه وهواجسه » (ص 70) فهو إنسان لا يختلط بالناس ولا يشغل نفسه إلا بالسواس والهواجس التابعة من نفسه، وهذه مشاغل لا تزيده إلا اغترابا، فهو يصبو إلى المستحيل ويطلب ما هو فوق قدرة الإنسان، وهذا دليل على أن طموحه غير معقول. ولو شغل نفسه بحياته اليومية واستبدل الطموح اللامعقول بأشياء في متناوله وحاول بناء علاقات اجتماعية جيّدة، لزالّت أسباب القلق.

ويفيدنا علم النفس الاجتماعي أن التوازن العاطفي للشخص لا يتم في معزل عن الناس، بل يقتضي أن يدخل الإنسان في علاقات مع من حوله ليكتشف الدور الذي يمكن أن يقوم به وينفع الناس من خلاله وتتكوّن له عن طريقه مكانة بينهم تقيه من الإحساس بالعزلة الخائفة، فليس للإنسان عالم آخر يمكن أن يعيش فيه خارج عالم البشر. والدور الذي يقوم به كل فرد ينبغي أن يستنبطه من الحياة بين الناس حسب ما هم في حاجة إليه، وفي نطاق ما هو قادر عليه وما يحقق فيه رغبة داخلية أو طموحا معينا.

وقد يشقى الإنسان كثيرا في التهويمات الفكرية التي لا تفضي إلى نتيجة إذا هو لم يقنع بدوره داخل المجموعة التي ينتمي إليها وأصرّ على أن يكون له دور آخر متعال، وهذا ما حدث للرجل في القصة.

«وكلّ حياته تتضمّن معنى «جئت لأقوم بدوري ثمّ أذهب» ... وتشكّلت أمامه

الصّور المضمومة. أيّ دور هو دورُهُ؟» (ص 68).

خلاصة : من خلال دراسة هذه العيّات الأربع، يتبيّن أنّ القاصّة خديجة الجويني ركّزت في مجموعتها القصصية «حالة اضطراب» على المضامين النفسية، وأن أسلوبها يركّز على الصورة الفنّية المستحدثة التي تكسب النّصوص عمقا فنّياً وقيمة أدبية متميّزة، وهي تستعمل سجلاً لغوياً ثرياً يستجيب لمتطلّبات الكتابة عن أحوال النفس البشريّة دون أن تلجأ إلى الكلمات التي يستوجب فهمها فتح المعاجم المختصّة. فهي تكتب بشيء من التلقائية وتسجل نبض الأشياء الدّاخلية في شكل قصصي جديد يرفض النمطيّة والمروّر عبر القوالب الجاهزة، ولها قدرة على الاستبطان (وصف حالات النفس) لا تتوفر للعديد من الأدباء.

ولئن كانت قصصها لا تخلو من الصّدق، فهي على قدر كبير من القنّاعة التي تبعث الأسى في النفوس.

فشخص خديجة الجويني انطوائيون، مسكونون بالهواجس والوساوس والخاوف، والغضب الذي يتحرّكون فيه فضاء ضيق. لا يدخلون في علاقات مع الآخرين ولا يشغلهم سوى ما يجري داخل نفوسهم، فحياتهم رتيبة يملؤها الضجّر، وهو ما جعل بعض النّصوص تسقط في الرّتابة في أجزاء كبيرة منها (نص: خرائط التّزيّف المستمرّ مثلاً) ولأنّ شخص خديجة الجويني تنقصهم المبادرة والنشاط، فقد خلعت طريقة عيشهم على القصص نوعاً من السكونيّة والخدر.

ومع ذلك فإنّ قصص هذه الكاتبة ذات مذاق خاصّ وأسلوب متميّز.